

5 me Année, No. 212

Lundi - 26 - 7 - 1937

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــدد ٢١٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ — ٢٦ يوليه سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العــدد

جلالة الملك فاروق الأول



اجتمع لجلالة الفاروق أعز الله نصره ما لم يجتمع لملك قبله من المزايا والخصائص فأحببناه أكثر من أخ ؛ وأجللناه أكثر من ملك : شباب كنضور الربيع كله حياة وجمال وخصب ، وخلق كمَهَبِّ النسيم فيه الرَّوْح والريحان واللطف ؛ ونشأة كنشأة الأخيار المصطفَيْنَ أقامها الله على أدب الدين وخلال الفتوة ؛ وجاذبية

كشعاع الروح الإلهي تجذب القلوب الصاغية بالهيام والحب؛ وشخصية على طراءة السن تبهر العيون بالجلالة وتملأ الصدور بالهيبة؛ وديمقراطية على عزة الملك كرحمة الله تقر فى الأذهان معنى السمو وسر العظمة؛ وعهد كإشراق الشمس قبله السرى المجهد والغسق الداجى، وبعده الصباح المسفر والضحى الماتع؛ وتاجٌ كدارة النور أو هالة القدس حلاه (مينا) بالشمس وزينه (المعز) بالقمر، فهو يتألق على جباه العصور بالقمرين لا بماس الأرض ولا بلؤلؤ البحرين؛ وببعض هذه الخصائص والمزايا قدس الشعوبُ الملوكَ فى الأمس البعيد، وفضَّل الناس الملكية فى اليوم الحاضر

* * *

مَن مثلُ فاروق جمع أطراف المجد فورث ملك الفراعنة وخلافة الإسلام وسلطان العرب، فكان رمزاً لأول حضارة مدنت الإنسان، وأقوم رسالة هذبت الحياة، وأعدل أمة حكمت الأرض؟ أليس هذا التاج المنوى الذى يضعه الشعب على مفرقه يوم الخميس المقبل خليقاً بأن يسامى أضخم التيجان ملكا وأرفعها مكانة؟ وهل يغض من خطر التاج أن انحسرت ظلال ملكه بعد أن ورفت على أكثر بقاع الكون؟ إن قيمة التاج فى خلوص جوهره وأثالة مجده وسطوع تاريخه؛ وهذا التاج الذى له ملك مصر وهذه الملايين العرب والمسلمون ينظرون إليه نظرهم إلى الشعاع الهادى والأمل الباسم، هو من حيث هذه الصفات الثلاث أعظم تاج على جبين ملك

* * *

لا جرم أن فاروقاً الأول هو أول ملك فى تاريخ مصر القديم والحديث نشأته الأمة على طبعها وحسها، وأعدته لعرشها بنفسها، وتوجته بطوعها ورضاها هذا التتويج الدستورى الشعبى الحر، ففتحت به عهداً لم يسبق، وسنت به سنة لم تكن، وفصلت بالفاروق بين ماض كليل بغى فيه الاحتلال على سيادتها واستقلالها، واعتدت فيه (الامتيازات) على أنفسها وأموالها، وبين حاضر زاهر يزخر فيه النيل بالحياة، ويجيش بالقوة، ويفيض بالأمل، ويقيم مُلكه على الديمقراطية، وعرشه على الدستور، وحكمه على العدل، وصلته بالدول على المساواة. فهل تعجب إذا انقلبت البلاد من ضفاف الشلال إلى أرياف الدال، بشراً يتهلل فى الوجوه، ومرحاً يتنزى فى الأفئدة، وزينة تتخايل فى الأرض، وأعلاماً تخفق فى الجو، ودعاء يصَّعَّد فى السماء، استعداداً للاحتفال بتتويج الفاروق سيد أعزاء مصر، وزين شباب الإسلام، وملك ملوك العرب؟

إن لابتهاج الشعب بتولى الفاروق حقوقه الملكية بواعث شتى: بعضها يرجع إلى شخصه، فشخصه عذب الروح قوى الجاذبية؛ وبعضها يرجع إلى عهده، فعهده أول عهد مصر بالسيادة والحرية؛ وبعضها يرجع إلى حكمه، فحكمه حكم الدستور والديمقراطية؛ ولكل أولئك ملابسات ومناسبات توزعت عواطفَ هذه الأمة الوديعة المطيعة المخلصة، فغرقت كما ترى فى نشوة من نشوات الروح، فيها بهجة القلوب بالحب، وغبطة النفوس بالعزة، ولذة الحواس بالطمأنينة.

* * *

مولاي الفاروق!

إن من دلائل الفوز التيسير. ومالك الملك الذى اصطفاك لخلافة هذا المجد العريق قد يسر لشعبك فى مستهل عهدك ماتعسر عليه الحِقَبَ الطوال من سيادته على أرضه. فتول القيادة العليا للسفين على هدى من الدستور ووحى من شمائلك الحرة؛ وأفِض من شبابك الفردوسى على ما خمد من عزائم هذا الشعب لطول ما كابد من عنت الأحداث وطغيان الدخيل؛ واطبع النشْءَ من شعبك الهين اللين على غرارك فى ثقافة العقل وثقافة الطبع وثقافة الجسم، فإنك المثل الأعلى لكل ذلك. ومَثَلك الفريد يا مولاى هو ما تحتاجه مصر فى تجديد مارثّ منها، وتكميل ما نقص فيها، وتوفير مواهب الانشاء بها، وتنظيم قوى الدفاع عنها، وتوثيق أسبابها العمرانية والاجتماعية والسياسية لتربط بين أملاك العروبة وملكك، وتصل طرفى المجد بين عرش (مينا) وعرشك. ثبت الله ملكك بالسلام، ونضَّر عهدك بالوئام، وجَمَّل حكمك بالرخاء والصفاء والسكينة

احمد حسن الزيات

تاج مصر
من مينا ... إلى فاروق

للأستاذ عباس محمود العقاد

اسم الملك فى مصر القديمة دليل على عراقة النظام الملكى فيها ، لأنه دليل الرسوخ والتوطد والعمران المستفيض على حين يعرف الملك فى البلدان الأخري بأسماء قريبة من البداوة أو من حالة البداية الفطرية .

فالملك فى اللغات اللاتينية (Rex) مأخوذ من كلمة الراجا الهندية وهي فى الأصل بمعنى الربان .

والملك فى اللغات السكسونيـة (King) مأخوذ من كلمة جنا كا (Jan aka) الهندية وهى بمعنى الوالد ، ولعلها كما يرى بعض الباحثين فى اللغات القديمة قريبة من كلمة الخان وما إليها .

والملك فى العربية وأخواتها بمعنى الاستيلاء ، والامارة بمعنى الأمر ، وكلاهما يتحقق لأصغر الحاكمين ولو كانوا من رؤساء العشائر ، لأن المرجع فيهما إلى الرآسة حيثما كان رئيس ومرؤسون .

أما « بارو » أو فرعون كما نعرفها الآن فمعناها « الباب الكبير » أو « الباب العالى » وهو الاسم الذي كان المصريون الأقدمون يعرفون به ملك البلاد ، وتسمية الملك به دليل على « تطور » الحكم عندهم من حالة الأبوة أو الزعامة البدائية أو الرآسة المستمدة من أواصر القرابة إلى حالة السياسة وتدبير العمران وقيام الدواوين ومراسم السلطان .

كذلك كان المصريون يعرفون التيجان ومعانيها السياسية إذ كان غيرهم لا يتجاوزون عهد العصابة أو عهد الاكليل من النسيج والزهر ، ثم من المعادن والجواهر ، فكان لملك الوجه البحري تاجه وشعاره ، وكان لملك الوجه القبلي تاجه وشعاره ، ثم اتحد الوجهان فاتحد الشعاران ؛ وظل الملوك حينا يلبسون هذا أو يلبسون ذاك للدلالة على الحقوق السياسية التى تناط بكل تاج وكل شعار .

وعراقة النظام الملكي معقولة طبيعية فى بلاد كالبلاد المصرية تحتاج إلى نظام واحد فى الرأى ونظام واحد فى الحكومة ، ويد واحدة تشرف على سقيها وتدبير معيشتها ؛ ويساعد على استقرار « النظام » فيها أن أمورها كلها مستقرة تجرى على مثال واحد قليل التغيير والتبديل .

قال الأستاذ ألفرد فيدمان الألمانى فى كتابه (ديانة قدماء المصريين) : « إن الهيمنة على جداول الأرض كانت بطبيعتها أقرب إلى التركيز والتوحيد من سائر المرافق الأخرى . إذ لا يتأتى تنظيم الري فى مصر على نحو مضمون مكفول بغير هيمنة واحدة تمنع الأفراد أن يجوروا على المصلحة القومية فى سبيل المنافع الفردية »

وتناول الأستاذ اليوت سميث هذا الرأى فشرحه وفصله فى كتابه « التاريخ الانسانى » وأيد فيه ماسبقه إليه العالم الألمانى من تعليل عبادة الملوك فى مصر القديمة ، إذ كان المالك عندهم لزمام النيل ومقادير الماء مالكا فى ظنهم لمصادر الحياة ، خليقاً أن يحاط بمظاهر من التعظيم ومناسك من التقديس لا يحاط بها الانسان ، ولا تكون لغير الأرباب .

ويزكي هذا الرأي أن « مينا » رأس الملوك الذين وحدوا البلاد وجمعوا بين حكم الوجهين إنما كان فى معظم أعماله مهندساً يسوس الماء ويدرى من ثم كيف يسوس البلاد ، وإليه ينسب المؤرخون الأولون تحويل مجرى النيل وإقامة السدود فى أقاليم منف والفيوم .

* * *

ثم جاء عهد الحضارة العربية وهى الحضارة الثانية التي بقي لها بعد الحضارة الفرعونية أخلد الآثار فى تكوين الشعائر وتقرير نظام الحكومة بين المصريين .

والفرق بين مظاهر الملك فيها ومظاهر الملك فى الحضارة الفرعونية هو الفرق بين حاكم يقول : إنه « عبد الله » وحاكم يقول ويقال له : إنه هو الآله وسيد الخلق والأمر وباعث الخير من الأرض والسماء .

فليس للملك العربى « تاج » ولا يحب الملوك العرب أن يتشبهوا بالأعاجم فى هذه المراسم . مدح عبد الله بن قيس الخليفة

عبد الملك بن مروان بقصيدة من جيد شعره يقول فيها .

إن الأغر الذى أبوه أبو العا صى عليه الوقار والحجب
خليفة الله فوق منبره جفت بذاك الأقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ! تمدحني بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مصعب (ابن الزبير) :

إنما مصعب شهاب من الـ له تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت وليس فيه رياء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً . . . هذا وعبد الملك بن مروان كان من ملوك العرب الذين أكثروا من اقتباس الأزياء والشارات الفارسية ، إلا مراسم التيجان التى بغضتها إليه النعرة العربية كما بغضتها إليه موجدته على ابن الزبير ومن مدحوه وجنحوا إليه !

وأياً كان سر الإنكار فى نفس عبد الملك فقد ظل الملوك المسلمون يؤثرون العمامة على التاج ويتخذون آثار النبى عليه السلام — ومنها البردة والخاتم — شعاراً للخلافة أعز عندهم وعند الرعية من كل شعار .

ثم جاء خلفاء الترك فاختاروا العمامة على التزين والترصيع ، حتى لبسوا الطربوش وميزوه على سائر الطرابيش بحلية من حلى التجميل ، كراهة منهم أن يتخذوا التاج ويتشبهوا بالملوك الأوربيين

أما ملوك مصر فقد لبثوا يتخذون الآثار النبوية شعاراً للخلافة حتى زالت عنهم هذه الآثار فعوضوها بما يشبهها ، ثم جروا على سنة الولاة العثمانيين حين دخلت مصر فى حوزة الدولة العثمانية .

* * *

ثم قامت الأسرة العلوية على أساس الانتخاب والتولية فى وقت واحد : فقد أساء الوالى العثمانى الحكم فاجتمع العلماء والنقباء بدار المحكمة واستقر رأيهم على اختيار محمد على الكبير والياً عليهم وإبلاغه ذلك والكتابة إلى الآستانة فى هذا المعنى . وانتقلوا إلى دار محمد على باشا هاتفين : إننا لا نريد هذا الباشا — يعنون خورشيد باشا — والياً علينا . وقال السيد عمر مكرم : « إننا خلعناه من الولاية » . . . فقال محمد على باشا : ومن تريدونه والياً عليكم ؟ فقالوا بصوت واحد : إننا لا نرضى إلا بك لما نتوسم فيك من العدالة . قال بعد تردد : إننى لا أستحق هذا المنصب وقد يكون فى التعيين مساس بحق السلطان . فعاد العلماء والنقباء يقولون : إن العبرة برضى أهل البلاد وقد أجمعنا على اختيارك .

فقبل محمد على وألبسه السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى الكرك والقفطان وهما خلعة الولاية . ولم يمض على ذلك شهران حتى جاء الفرمان من قبل السلطان باقراره فى منصبه وتعزيز ما اختاره الشعب لنفسه ، فكانت هذه هي بيعة الشعب المصرى لمحمد على الكبير ولأسرته من بعده

* * *

وكانت النهضة المصرية وشاء الله لمصر أن تكون ولاية مليكها المحبوب « فاروق الأول » فتحاً جديداً فى تاريخها لا مثيل له فى جميع هاتيك العصور ، وقدوة للاحقين جمعت كل حسن سائغ من الماضى وتنزهت عن كل ما يأباه المليك ويأباه رعاياه :

إستقلال الفراعنة بغير شوائب الوثنية ، وملك العرب بغير رعاية أجنبية ، واختيار الشعب بغير الولاية العثمانية . وقد كانت الدولة البريطانية تزعم لنفسها المزاعم فى إبان الحرب العظمى ، فبطلت هذه المزاعم وقام الملك الفاروق بالأمر بيننا أول ملك خلص لمصر عرشه وخلص له حبها واختيارها . فلا نظير لهذا الملك فى عهد الفراعنة ولا فى عهد العرب ولا فى دولة العثمانيين ولا فى دولة الانجليز . وهنيئاً لمصر هذه البداية ، وهنيئاً للفاروق هذه المزية ، وهنيئاً للمستقبل ما يرجى له من طوالع هذا الفأل الحسن وهذا البشير السعيد

وإن من الخير لمصر أن يكون تاجها هو التاج الذى اختاره الله للمليك الفاروق الفارق بين جيلين وعصرين :

تاج محسوس بالقلوب مثاله هو شخص المليك المحبوب ، ورمز تراه الأفكار قبل أن تراه الأبصار ، وطلعة كما قال عبد الله ابن قيس :

. . . شهاب من اللـه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت وليس فيه رياء

عباس محمود العقاد

حديث الملك فاروق

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

عرفت فضل النظام الملكي ومزيته في ليلة صيفية كان هذا الموضوع آخر ما أتوقع فيها أن يجري لي في خاطر . وكنا نحو عشرين - مابين كبار وصغار ، ورجال ونساء ، وشيب وأطفال - خرجنا في أربع سيارات إلى الصحراء - صحراء مصر الجديدة - ومعنا الطعام والشراب والسجاجيد والوسائد والأواني والأوعية وسائر مايحتاج إليه مثلنا في مثل هذه الرحلة ، إلا الأكواب فقد نسيناها على فرط حرصنا على تذكرها ، فاضطر أحدنا أن يعود بالسيارة إلى حيث مساكن الأحياء ليشتري لنا تفايتنا من هذا الذي نسيناه . وفرشنا السجاجيد وأخرجنا الوسائد والحشايا وصففنا الأطباق ووزعنا الفوط والأشواك والملاعق والسكاكين - فقد أبى أكثرنا إلا أن يكونوا من أبناء المدنية وان كان أصل الفكرة أن نجعلها ليلة « بوهيمية » وأن نطلق النفس على السجية وننفي التكلف - وشرعنا نأكل ونسمر ونضحك ونلعب ونتخاطف الطعام والشراب ويجري بعضنا وراء بعض . وكنت جالساً على حافة السجادة وساقاي ممدودتان أمامي - كأنما يمكن أن أمدهما ورائي ! - وظهري إلى مؤخرة إحدى السيارات فان احدى ساقي مهيضة فليس في وسعي أن أجلس كما يجلس خلق الله . فأقبلت عليّ إحدى الفتيات وأراحت كفها على كتفي وقالت: « ولكن كيف نسنا الأكواب ؟ »

فهززت كتفي التي عليها راحتها - فقد كان الجو حاراً - وقلت : « وهل أنا أعرف ؟ »

فأبت إلا الالحاح وقالت : « ولكنك كتبت كل شيء في ورقة وراجعت كل شيء على مافيها ؟ »

فقلت بإيجاز : « صحيح »

فقالت : « إذن كيف حدث هذا ؟ .. لابد انك تعمدت .. »

ولم تتمها فقد صاحت إحدى الفتيات في هذه اللحظة : « الملك فاروق ! »

وإذا بالقاعدين والمضطجعين جميعاً يثبون إلى أقدامهم كأنما شكهم جميعاً حديد محمي ، ولولا ساقي وصعوبة هذه الحركة الباغتة عليها ، لكنت وثبت كما وثبوا ، فان للجماعة عدواها ، وصارت كل يد على أقرب كتف ، وجعلت العيون تدور في كل ناحية ، والألسنة تجري بالسؤال الطبيعي : « فين ؟ » . وكانت الفتاة التي أطلقت هذه الصيحة تشير إلى سيارة تخطف بعيداً عنا ، ولا يكاد يبدو منها شيء لكثرة الغبار الثائر وراءها . وسكنت الضجة أخيراً فقالت إحدى الفتيات : « هل سمعتم أغنية الملك فاروق ؟ » فقلنا جميعاً - أعني الرجال - : « لا » - بلسان واحد . فقالت : « أغنية جميلة » قلنا : « هات أسمعينا » فهزت كتفها ، وأولتنا ظهرها ، وأخفت وجهها في حجر زميلة لها . فسأل أحدنا : « هل فيها شيء يدعو إلى الحياء ؟ » فقالت بنته : « لا . إنما خجلها من أن تغني » قلنا : « إذن أسمعونا ياناس »

فأبين أن يسمعننا شيئاً ، وتركننا متلهفين على السماع الذي حرمناه . ولم أطق أنا صبراً فعمدت الى الحيلة ، وغيرت الموضوع ثم ملت على جارتي وسألتها - فيما بيننا - : « هل تعرفين هذه الأغنية ؟ » فهزت رأسها أن نعم ، فسألتها : « ماذا فيها ؟ » قالت : « لا شيء في الحقيقة وهي شائعة جداً »

قلت : « اهمسي بها في أذني » ففعلت وإذا بالأغنية كما يأتي :

« مصر فرحانة بفاروقها   مصر فرحانه بحبيبها
كل بنت تستمنى   لو جلالته يكون خطيبها »

ففهمت لماذا خجلت الفتيات أن يغنينها وإن كان لفظها لا يراد به المعنى الحرفي ولا يدل على أكثر من الحب العام الذي فاز به هذا الملك الشاب السعيد الحظ . وخطر لي وأنا جالس أفكر في هذه الأغنية الشائعة أن ملكا مثله يسعه أن يثق بحب الشعب له وأن يطمئن إلى دوام هذا الحب ، فإن المرأة تصنع بنا معاشر الرجال المغرورين ما تشاء

وقلت لنفسي وأنا أرمي بعيني هذه الصحراء المهولة التي يضيئها القمر : إنه ليس في وسع رئيس جمهورية أن يفوز بمثل هذا الحب . ولا يعقل أن يكون رئيس جمهورية شاباً في مثل سن الملك فاروق ، وعلى أنه ماذا صنع الجمهوريون حين ألغوا الملكية واعتاضوا منها الجمهورية ؟ لم يصنعوا شيئاً سوى أنهم قلدوا الملكية ، واحتفظوا بكل مظاهرها ، وحرموا الشعوب إمكان الحب لرؤساء دولهم ،

واتخاذ هؤلاء الرؤساء رموزاً لأوطانهم وأعلاماً عليها ، وعناوين لها ، وأفقدوها معنى قومياً تتعلق الشعوب به . والجمهوريون يشعرون بذلك ويفطنون إلى الزيف الذي تكلفوه ، ولذلك يحفون رئيس الجمهورية بكل ما كان يحف بالملوك من المظاهر والمراسم . فله قصره ، وحرسه ، وحاشيته ، وإنعاماته — كائنة ما كانت — وله مقام كمقام الملك ، واحترام كاحترامه ، وتقاليد ملكية مقررة لا تختلف ولا يمكن التساهل فى أمرها . وكل ما ذهب هو نظام الوراثة . هذا والملكية نشوءها طبيعي فى الأمم ، فقد كان الملك فى العصور الأولى هو الأقوى أو الأقدر على العموم وبقدرته أو قوته الممتازة استحق التسويد . أما الجمهورية فنظام قائم على التكلف والمغالطة . والزعم فيه هو أن الأمر والرأي للأمة ، ولا أمر ولا رأي للأمة فى الحقيقة ، وإنما الأمر والرأي لنفر ممن فى أيديهم مقاليد الأمور ، وأعنة الشئون . وما دامت الشورى هى نظام الدولة ، والدستور هو الذي يجري على قاعدته الحكم ، والملك لا يحكم إلا بواسطة وزرائه ، فلماذا تتكلف الأمم عناء التبديل والتغيير والمغالطة لنفسها وتجيء برئيس جمهورية لا يختلف عن الملك فى شيء ، ثم تزعم أنها جاءت بجديد ؟ كل ما تصنعه الأمم التى اعتاضت الجمهورية من الملكية هو أنها أفسحت المجال لأطماع وراء الأطماع العادية فى مناصب الحكم أي فى المناصب الوزارية . وقد يكون من عجائب الانسان أنه لا يقنع بمنصب الوزارة — وهو منصب حكم فعلى لا وهمي — وأن يروح يطمع فى منصب لا يكون لصاحبه وهو فيه من الأمر قليل أو كثير . وكل ما يفيده هو الأبهة التى ليس وراءها حقيقة . ومن مغالطات الانسان لنفسه أن يدعى كره الملكية وأن يتخذ مع ذلك كل مظاهرها ما خلا الاسم ، ويروح على الرغم من هذا يقنع نفسه أنه غير شيئاً حين أبدل الملك برئيس جمهورية . وقد تكون الجمهورية أو ما إليها معقولة فى بلد حديث العهد بالوجود مثل الولايات المتحدة ؛ أما فى الأمم القديمة التى نشأت فيها الملكية وتقررت زمناً فان التغيير لا يكون إلا مغالطة ولا يكون الباعث عليه إلا الأطماع الشخصية أو جنون الحركات الثورية التى يفقد فيها العقل اتزانه واستقامة نظره ، وهدوءه

ولم أسترسل فى هذه الخواطر التى لا أدرى لماذا دارت فى نفسي ، فعدت إلى رفاقي أسألهم عن الملك فاروق وأحاول أن أعرف سر هذا الحب كله . فقالت فتاة صغيرة بسذاجة محببة : إنه شاب حلو . فقلت لنفسى : إن هذا معقول فإن الأمم تحتاج إلى الشباب لتجديد نفسها . ومجرد وجود ملك شاب على رأس أمته يشعرها بفيض جديد من الحياة والشباب على الخصوص ، وينعش فى نفوسها الأمل . ولعل فتاتنا الساذجة لا تدرك ذلك كله ، ولكنها صدقت من حيث لا تدرى . وقال رجل : إنه شديد التمسك بعادات قومه ودينهم . فقلت لنفسى : وهذا أيضاً صحيح وهو من مزايا الملكية ، والشعوب تحب أن ترى فى ملكها رمزاً لكل ما تحرص عليه وتضن به ، من دينها وعاداتها وتقاليدها وآمالها ، ولا يتأتي هذا كما يتأتي فى الملكية . وقال ثالث : إنه متواضع رقيق الحاشية والقلب . فحدثت نفسى أن هذا أيضاً صحيح ، ومعقول أن يكون باعث حب ، فما من أمة تحب العجرفة والشموخ والغطرسة والجبروت فى حكامها ، حتى ولو خضعت لهم مكرهة ، وهى تؤثر الحدب والرعاية والعطف والعدل ، وهذا كله حقها . وقال آخر : إن الأمل فيه عظيم ، وإن البشرى به حسنة ، وإن فاتحة عهده آذنتنا بالخير . ولا يكون مثل هذا الأمل الكبير فى رجل عرفت حياته ونزعاته واتجاهاته ، وأصبح ما يمكن أن يكون منه مما يسهل أن يعرف بالقياس على ما كان فعلا فى ماضيه المعروف . وعظم هذا الأمل دليل على عظم الرغبة فى الانتقال إلى ما هو خير . ودلالات هذا الأمل كثيرة وليس هنا مقام القول فيها . وقد كثرت فى جلستنا الأسباب التى يعزى إليها حب الشعب للملك الشاب ، وكلها صحيح ولكنى لا أذكر الآن أن واحداً منا أشار إلى جاذبيته الخاصة ، وقد يكون مرجعها إلى الشباب ، ولكنى أحسبها هبة من الله ، فما أكثر الشبان وما أثقل الكثيرين منهم !

وعدنا وما كان لنا حديث إلا الملك فاروق وحبه لأمته وحب الأمة له . وما أظن أن حديثاً آخر كان خليقاً أن يكون أشهى وأمتع . ومتى كان الحديث عن الملك فى المجالس أشهى الأحاديث وألذها فان للملك أن يبشر وللأمة أن تستبشر

ابراهيم عبد القادر المازني

لمناسبة تتويج الفاروق

خواطر تاريخية ودستورية

عن رسوم التتويج والتولية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تستقبل مصر بعد يومين حادثاً من أعظم الحوادث فى تاريخها الحديث هو الاحتفال « بتتويج » جلالة مليكها فاروق الأول ، أو بالحرى ببلوغ المليك رشده الدستورى وتوليه مقاليد الشئون ، وافتتاح عهده السعيد فى ظل الاستقلال والحريات الدستورية ؛ ويلاحظ ان هذا الحادث الذى هو الأول من نوعه في تاريخنا الحديث ، سوف ينشىء سابقة دستورية ينسج على منوالها ، وسوف يكون هو الحجر الأول فى صرح تقاليد الملوكية المصرية الدستورية

ولقد كان للملوكية المصرية فى عصور الاستقلال والمجد رسوم وتقاليد مؤثلة ؛ وكانت رسوم البيعة والتولية من أعظمها وأعرقها ، وكانت تتشح بألوان ساحرة من الفخامة والبهاء ، وتعتبر من الحوادث القومية الجليلة ؛ ولو لم تنكب مصر بمحنة الفتح العثمانى فى سنة ١٥١٧ ، وينهار بذلك صرح استقلالها وملوكيتها التالدة ، لكان عرش مصر اليوم أقدم عروش العالم وأعرقها

فالحادث العظيم الذى تستقبله مصر فى الغد يعتبر من الوجهة التاريخية ذا أهمية خاصة فى تاريخها : أولاً لأنه يصل ماضى الملوكية المصرية المستقلة بحاضرها بعد أن انقطع سيرها زهاء أربعة قرون ؛ وثانياً لأنه يفتتح عهد الملوكية الدستورية فى عصر الاستقلال ؛ وهذا المعنى التاريخى المزدوج هو الذى يسبغ على تتويج مليك مصر الشاب خطورة قومية ودستورية ذات شأن

وسوف تتخذ اجراءات التتويج هنا صفة رمزية معنوية ، فليس هناك تتويج بالمعنى الحقيقى ، وليس لمصر الحديثة تاج موروث أو آلات وأزياء ملوكية خاصة يتقلدها المليك عند توليته ؛ وانما هنالك اجراء دستورى خطير هو فى الواقع أسمى مظهر يبدو به الملك الدستورى لأمته ، وأقدس عهد يقطعه لها حين تقلده لأمورها ؛ وهذا الاجراء هو أداء الملك لليمين التى نص عليها الدستور فى مادته الخمسين ، وذلك أمام البرلمان مجتمعاً بمجلسيه فى هيئة مؤتمر ونصها : « أحلف بالله العظيم انى أحترم الدستور وقوانين الأمة المصرية وأحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه » ؛ وسيتلو هذا الاجراء الخطير عدة حفلات واستقبالات عظيمة يتاح فيها للأمة أن تبدى عميق حبها وولائها لمليكها ، ويستعرض فيها الجيش المصرى الذى تؤمل مصر أن يستعيد فى المستقبل القريب مجده العسكرى التالد ، ويغدو حصنها المكين ، وحامى حمى استقلالها وذمارها

وإذا كان « تتويج » الفاروق سيقتصر على ثلاثة اجراءات ومظاهر رئيسية ، هى أداء اليمين الدستورية يوم الخميس القادم ، فأداء صلاة الجمعة فى اليوم التالى فى مسجد الرفاعى ، ثم استعراض الجيش فى اليوم الثالث ؛ فان هذا البرنامج على بساطته المؤثرة يحتوى جميع العناصر القومية والشعبية التى تأخذ بها جميع القصور والأمم العريقة ، بل والتى عرفتها الملوكية المصرية فى ظل الدولة الاسلامية ؛ ذلك أن تبادل العهد بين العرش والأمة عن طريق اليمين الدستورية التى يؤديها جلالة الملك أمام ممثلى الأمة ، والتي هى معقد رسوم التولية ، ليست فى الواقع إلا مظهراً جديداً من مظاهر نظام البيعة القديم تطور مع الزمن طبقاً لتطور الفكرة الدستوريه ؛ ففى العصور الوسطى كانت الخلافة أو العرش مصدر السلطات الروحية والزمنية ، وكانت البيعة تعقد للخليفة أو صاحب العرش بهذه الصفة ؛ أما اليوم فان الأمة تغدو فى ظل النظم الدستورية هي مصدر السلطات ، ويغدو العرش رمزها الأسمى ، وهي التى يدين لها الجميع بالولاء

أما التتويج بصورته الشكلية المعروفة عند ملوك النصرانية من وضع التاج على رأس الملك الجديد فى حفل دينى على الأغلب فلم يتبع دائماً فى الدول المصرية الاسلامية ، ولم يتبع إلا فى دولة الخلفاء الفاطميين ، فقد كان لخلفاء هذه الدولة ضمن آلات الملك تاج من الجوهر الثمين يعرف بالتاج الشريف وبه جوهرة عظيمة تعرف

باليتيمة ومن حولها جواهر دونها ، وله موظف خاص يوكل بوضعه على رأس الخليفة فى المواكب والأيام العظام يعرف « بمتولى شد التاج » . أما الدول التى تلتها كالدولة الأيوبيـة ، ودولة المماليك البحرية ، ثم دول السلاطين الشراكسة ، فلم يكن التاج بين الآلات الملوكية التى اختصت بها ، بل كان أهمها العرش (أو سرير الملك) وكان سلاطين هذه الدول يضعون على رؤوسهم أيام التولية طرحة سوداء مرقومة بالبياض ، أو عمامة سوداء مرقومة بالبياض، تنويهاً بشعار الخلافة العباسية القديمة وهو السواد ، وقد كانت هذه الدول تنضوى من الوجهة الروحية تحت لواء الخلافة العباسية الذاهبة ، على أنه لم يكن سوى انضواء شكلى فقط

ثم إن الحفلات القوميـة التقليدية كانت فى هذه المناسبات العظيمة تحتوى دائماً على العنصر العسكرى ، وعلى بعض المظاهر الدينية ؛ فكانت مواكب الخلفاء فى الدولة الفاطمية تمتاز بروعة عسكرية ، وكان يحف بالخليفة الجديد وينتظم فى ركبه صفوة القادة والضباط والجند فى أثواب وأزياء باهرة ، ويشق هذا الركب الخلافى العسكرى الفخم مدينة القاهرة فيعرض على أنظار الشعب المعجب طرفاً من قوة الدولة والجيش ؛ وكانت مواكب السلاطين فيما بعد تمتاز أيام التولية أيضاً بهذا الطابع العسكرى الفخم ؛ وما زال الطابع العسكرى فى عصرنا أعظم مظهر للمواكب المشهودة فى أرقى الدول وأعظمها

أما المظاهر الدينية فقد كانت تتخذ مكانتها دائماً فى المواكب الخلافية والسلطانية ، وكانت فى ظل الدولة الفاطمية أشد ظهوراً وتمكناً منها فى أية دولة مصرية أخرى ؛ ذلك لأن الدولة الفاطمية كانت خلافة مذهبية وكانت الإمامة الدينية شعارها ، وكان الخليفة يجمع بين يديه جميع السلطات الدينية والزمنيـة ؛ وكانت مواكب السلاطين تحتوى أيضاً مثل هـذا الطابع الدينى ؛ بيد أنه يجب أن نفرق بين هذه المظاهر التى كانت تتفق من الوجهة الشكلية مع روح العصر ، وبين مسألة أخرى هى مدى مثول العنصر الدينى فى تولية الخلفاء والسلاطين المصريين. وقد أثيرت هـذه المسألة أخيراً لمناسـبة تتويج جلالة الملك فاروق ، ورأى بعضهم أن تجرى إلى جانب الحفلة الدستورية حفلة دينيـة فى أحد مساجد القاهرة يتلو فيها شيخ الأزهر على جلالته صيغاً معينة يجيب عنها جلالته بما يناسبها ، فيكون هـذا بمثابة تتويج دينى لجلالته إلى جانب التتويج المدنى ؛ وكانت حجة هؤلاء أن مصر دولة إسلامية دينها الرسمي الاسلام ؛ وقد اعترض على هـذا الاجراء بحق بأنه ينافى الأوضاع الدستورية ويخلق فى الدولة سلطة روحية لا وجود لها ؛ على أننا نزيد هنا أن هذا الاجراء لم تعرفه القصور المصرية فيما عرفت من رسومها وتقاليدها ، ولم يحدث قط فى تاريخ مصر الاسلامية ، أن تلقى خليفة أو سلطان عهداً أو تفويضاً من زعيم دينى سواء أكان قاضى القضاة أم شيخ الأزهر ، ولم يتلق السلاطين مثل هذا التفويض إلا من الخليفة العباسى ، الذى أقاموه هم بمصر بعد سقوط الخلافة العباسية فى بغداد ليتخذوا من لوائهـا أداة من أدوات السياسة . بيد أنه كان إجراء شكلياً فقط ؛ كذلك لم يحدث قط فى تاريخ مصر الاسلامية أن توج خليفة وسلطان فى مسجد من المساجد ، بل كان التتويج يجرى دائماً فى مقر الملك ، فى القصر الفاطمي أيام الدولة الفاطمية ، وفى دار الوزارة الكبرى ثم فى قصر القلعة أيام الدولة الأيوبية والدول التى تلتها ؛ أما العناصر والمظاهر الدينية فى حفلات تولية الخلفاء والسلاطين فكانت تتلخص فيما يلى : مثول قاضى القضاة وأكابر العلماء إلى جانب أقطاب الهيئات العسكرية والمدنيـة الأخرى ، فى حفل التولية ، وفى الموكب الملكي ؛ وأداء الخليفة لصلاة العيد أو الجمعة فى الجامع الأزهر أو جامع عمرو أو جامع الحاكم أو غيرها من المساجد الجامعة ؛ ولم يظهر نفوذ رجال الدين فى مسائل العرش والتولية إلا فى أواخر دولة المماليك الشراكسة حيث كان للعلماء والقضاة الأربعة نفوذ يذكر فى تولية بعض السلاطين وعزلهم وتقرير رشدهم ؛ بيد أن هذا النفوذ كان عارضاً يرجع إلى أحوال الدولة المصرية والمجتمع المصرى يومئذ ؛ ولم يكن من العوامل الأساسية فى مسائل العرش والتولية .

والواقع أن إجراء رسوم التتويج بالمسجد هو أقرب إلى الشعائر الوثنية والنصرانية ، والكنيسة تؤدى مثل هذا الدور الذى يراد أن يؤديه المسجد – فى الأمم النصرانية ؛ وقد شهدنا هذا المنظر فى تتويج جلالة ملك انكلترا حيث جرى تتويجه فى

الكنيسة وتلا عليه مطران كنتربرى صيغاً معينة أجاب عليها ؛ ومع أن الدول الأوربية قد تحررت منذ بعيد من سلطان الكنيسة فان هذه الاجراءات ماتزال تمثل فى الاحتفالات القومية الكبرى كالتتويج وغيره ، فنرى الأمبراطور نابوليون بونابرت مثلا يجوز رسوم التتويج فى كنيسة الأنفاليد فى فاتحة القرن التاسع عشر ، كما توج سلفه الأمبراطور شارلمان قبل ذلك بألف عام فى إحدى كنائس رومة وتولى البابا ليون الثالث وضع التاج على رأسه ؛ على أن هذه المظاهر النصرانية والمناظر الوثنية التى ترجع إلى روح العصور الوسطى أيام كان سلطان الكنيسة الروحى يغشى كل سلطة زمنية وتستظل بلوائه الملوكية لتدعم سلطانها الزمنى ، لم تعرفها الملوكية الاسلامية ولم تأخذ بها ولم يلعب المسجد فى هذا الميدان مثل هذا الدور الذي تلعبه الكنيسة فى تتويج ملوك النصرانية ، كذلك لم تعرف الدولة الاسلامية لرجال الدين سلطة خاصة كتلك التى يزاولها الأحبار النصارى فى مثل هذه المناسبات السياسية والقومية .

وعلى ذلك فان البرنامج الذى وضع لتتويج جلالة ملك مصر والذى يقوم على العناصر التقليدية الثلاثة : العنصر الدستورى وقوامه أداء جلالته لليمين الدستورية أمام ممثلى الأمة ، والعنصر الدينى ومظهره أن يؤدى جلالته صلاة الجمعة فى اليوم التالى فى أحد المساجد الكبيرة ، والعنصر العسكرى ومظهره أن يقوم جلالته باستعراض الجيش المصرى الباسل فى حفل فخم ، هو فى الواقع برنامج موفق ، يتفق على بساطته مع الروح الدستورية الصحيحة ، ويجانب تلك البدع والرسوم الوثنية التى زعم البعض أنها تسبغ على حفلات التتويج لوناً روحياً خاشعاً ، وتنوه بصفة مصر الاسلامية فى حين أنها تنافى الأوضاع الدستورية والتقاليد الملوكية الاسلامية ؛ بل إن هذا العهد الدستورى المؤثر الذى يتقدم به المليك لأمته يوم توليه مقاليد أمورها ، ليذكرنا كيف تمت ولاية جده العظيم محمد على لمصر على يد زعماء الأمة المصرية فى منظر من أعظم المناظر الديمقراطية التي يسجلها التاريخ المصرى

محمد عبد الله عنان

عرش الشمس

يقدمه واحد وأربعون قرناً !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

حينما أرسلت خيالى يرود لى ما يقع عليه « عرش الشمس » الذي يتبوأه اليوم الفاروق ، من البحر فوق ، إلى البحيرات تحت ، عرفت فى نفسى كلاماً يُوحى إلى أن خذ قلمك وسر فى موكب التتويج جندياً يحمى أو شاعراً يغني ! فانه موكب يسير فيه واحد وأربعون قرناً هى كل تاريخ الانسانية الذى وعته ذاكرتها . . وتحتشد فيه الدنيا لرجوع شباب « أمها » فى مَلِك نظيف المادة مكتمل ، واسع الروح قِدّيس الحياة ، قد صنعه الله على عينه ، وآتاه البسطة فى العلم والجسم ، واختار له ذلك الاسم الذى يومىء الزمن به إلى تاريخ وقف وتاريخ أقبل ، وحاطه بحكماء أذكياء على علم تام بكمالات النفوس وواجبات الملوك ، وعَبّد له طريق الحكم وأزال منه الأشواك ورفعه على عرش لا تخفق فوقه راية أجنبية ، وأعده ليكون ملكا بطلا ومربياً شعبياً وقائد جيل !

وهأنذا فى الموكب أهتف : —

أشهد أن لا إله إلا الله يا مليكي ! فلا أعبدك . . . ولا أنسى بك مَلِكَكَ وبارئك وإلهك . . . كمن فتنوا بعبادة الملوك فى الماضى ، ومن لا تزال فى قلوبهم بقية من هذه الجاهلية فى الحاضر

ولكني أجد فى قلبي سطوة الحب لمعناك الذى أخرجه الله على قلوب الناس إخراجاً مفاجئاً فى ظرف غريب ، كما يُخرِجُ الفجرَ فتطْرفُ له كل عين ، ويتفتح له كل قلب ، وتتنفس الأرض به من الظلام !

ولمعناك يا مولاى فى ذهني صورة تمتد امتداد النهار . . . فتقع على الزنجى فى جنوب الوادى ، وعلى الأسكندرى ومن بينهما

فحبك حب هؤلاء جميعاً ، لأنك المنى الندىُّ الذى يَنْضح الله به قلوبهم الجافة ، ويبثه فيها رحمةً مُهداة .

هى صورة مؤتلفة الأصباغ من ألوان برك الذى واليته على أمتك تقول به لها : أنا لك !

ومن كمالكَ الذى تستعلن به مصر فى كل مكان وطئته قدماك وتقول للناس : أنا هو !

ومن دينك الذى تقول له : يا سلاماً من رحمة الروح لنا . . وظلا ظليلا من سلطان الله فى أرضه علينا . . . وهدًى ضاحياً على أعلى منارة !

ومن شبابك الذى يقول به الزمان لمصر : تجددى تجددى يا أم أبى الهول ! تجددى فى آمال قلبك أيتها العجوز . . !

* * *

كلا ! ليس مصادفة ومحض اتفاق أن يضع أبوك العظيم اسمك الكريم على ذاتك المفداة . . . وإنما هو الإلهام والإرهاص الذى ترسله المقادير حين تريد أن تحدث انقلاباً تضطرب به أحشاء الزمن ، وأن تحجز بين تاريخين بحاجز من قدَرها . . !

كلا ! ليس مصادفة واتفاقاً أن تخرجك المقادير على مسرحها هـذا الاخراج الفنى العجيب الذى استجمعت فيه كل براعتها وحسها وبلاغتها فى التكميل والتجميل : فأفرغت ذاتك فى نصاب الرجولة ووشتها بألوان الروض ... وقدست روحك بدين السماح وأضاءت عقلك بنور العلم . . . وزينت قلبك بمختار الأخلاق ومصطفاها ... وإنما يراد بك أن تكون صورة من صور الكمال الانساني يراها شبان هـذا الزمان فيسيرون إلى الكمال الأعلى وفيك لهم أسوة . . !

كلا ! ليس صـدفة أن يتكون قلبك فى عهـد ثورة الأمة وزلزلتها حين ذهبت تدق بيـدها المضرجة باب الحرية الحمراء ، تقرعه على مسمع « أسد » ظافر بما سلب ، تيّاه بما غلب ، بطاش بمن يجأر أو يهمس بالكلمة المقدسة : الحرية ! حتى ظفرت منه بما زلزلت الأرض له ... وإنما كان ذلك من الأقدار صبًا لقلبك الملكي فى القالب الذى صبت فيه قلوب شباب أمتك ليكون الاحساس الوطنى تحت ضغط الثورة ، على سواء فى الأعلى والأدنى . . . وذلك هو المقياس الصحيح لوحدة الأمة وعرشها . .

فليكن هذا كله فى موضع التأمل من عقول الشباب والأمل من صدورهم والعمل من أجسادهم ؛ فانها برسالة تطلب جنوداً ذوى أرواح من شعل ، وقلوب من جبل ، وأجسام من عمل !

ولتهنأ الأمة بملك يدرك الحرية ويعرفها معرفة الرأي الذى كان يدور فى عقله حينما يرى تلاحم الحجج بين حماتها وغزاتها . . ويعرفها فى قلبه معرفة الدم الذي كان يفور فيه حينما يسمع أن دما من دماء جنوده الشبان سفك على مذبحها . . .

وليهنأ الملك بالعرش الذى يقدمه إليه واحد وأربعون قرناً ... ويحمله أربعة من أبطال الدنيا : رمسيس وعمرو وصلاح الدين ومحمد علي . . . وتحوم حوله قلوب خمسة عشر مليوناً تصلي فى ملكوت السموات إلى مالك الملك أن يجعل عينه الراعية على الملك الشاب الإلهى . . وأن يحدث به انقلاباً تحتاجه أوضاع الأرض !

« القاهرة » عبد المنعم محمد خلاف

تولية محمد على باشا الكبير

صفحة مصرية نبيلة

وضع الأستاذ المؤرخ القصصى الكبير محمد فريد أبو حديد قصة سينمائية عن قيام حكم محمد على باشا الكبير سماها « ابنة الملوك » وعهد إلى الأديب يوسف تادرس الناقد المسرحى بكتابة « السيناريو » وفى هذه المناسبة السعيدة ننشر من مناظرها هذا المنظر الذي يصور كيف نصب الشعب المصري محمد على باشا والياً عليه بحكم إرادته ومحض اختياره

المنظر : قاعة فى قصر محمد على باشا بالأزبكية . محمد على باشا فى ملابس الولاية واقف وأمامه أدهم أحد ضباط الأرنؤود .

أدهم : . . . وبعد قليل وصل السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي فلقيا عناء كبيراً في اختراق الكتل البشرية المجتمعة فى ساحة بيت القاضي والطرق المؤدية إليها فقد كان عددها يعدو الأربعين ألفاً .

محمد علي : (فى دهشة) أربعون ألفاً ؟ !

أدهم : أجل يامولاي وقد بلغ بهم الحماس حداً لا مثيل له . . . كانوا يضربون على الدفوف ويهتفون من أعماق قلوبهم : «عايزين الحاكم اللى نرضاه» «عايزين الباشا بتاعنا»

محمد على : (يبتسم) وبعد !

أدهم : صعد السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي والعلماء والأعيان إلى القاضى . . . حاولت الدخول فلم أستطع ولكنى علمت أن كلمة الجميع قد اتفقت على خلع خورشيد باشا لأنه ظالم مستبد .

محمد على : وهل انفض الاجتماع على هذه النتيجة ؟ !

أدهم : الاجتماع لم ينفض بعد . . . لقد غادرتهم مجتمعين وجئت مسرعاً لأتلقى تعليمات مولاي .

محمد علي : لابأس سيقفنا الشيخ عبد المنعم على مادار فى الاجتماع . . . قل لى يا أدهم ماذا يقول الناس عنى ؟

أدهم : إنهم فى حيرة ياسيدي . . . يقول البعض إنك ستسافر في الأسبوع القادم إلى جدة لتقوم بأعباء الولاية، ويقول آخرون إنك تخشى السفر ولن تبرح القاهرة

محمد على : (يبتسم ويهز رأسه)

أدهم : مولاي ! أتسمح لى أن أسألك سؤالا ؟

محمد علي : سل يا أدهم .



أدهم : كيف قبلت منصباً كهذا ؟

محمد على : لا يرفض المرء ترقية مهما كانت . . . لقد كان هذا المنصب وسيلة إلى الرتبة التي ساوتنى بخورشيد . . . إنه اعتراف من الباب العالى بجدارتى لمنصب الولاية

أدهم : أتترك مصر إلى جدة ؟ ! تغادر هذه الجنة الزاهرة إلى تلك الصحراء القاحلة ! ؟

محمد على : ومن قال لك إنى راحل أيها الغبي ؟

أدهم : مولاي . . . لقد أحس رجالك بحيلة خورشيد لاقصائك عن القاهرة فتوسلوا إليك أن ترفض السفر فأبيت . فهل لى أن أتساءل . . . ؟ !

محمد على : (مقاطعاً بإشارة من يده) لاتتساءل . . . لنترك كل شيء إلى الظروف . وما قدر فسوف يكون

(يدخل سرور ويؤدى التحية)

سرور : سليمان أغا وضابطان يطلبون الاذن على مولاي

محمد على : (يبتسم) أدخلهم . وإذا جاء الشيخ عبد المنعم فأخبرني

توا . (يخرج سرور) إذهب الآن يا أدهم وتسقط الأخبار في القلعة فلعلك تحمل إلينا شيئاً جديداً .

(يخرج أدهم — يدخل سليمان أغا وضابطان من الأرنؤود ويؤدون التحية)

محمد على : خيراً .

سليمان أغا : جئنا يامولاي لنعرف ما ذا استقر عليه رأيك .

محمد على : لقد أعلنتكم برأيي وإني مصر عليه .

سليمان : مولاي ! ولكن مصلحة جنودك ورجالك لايمكن إغفالها .

محمد على : تطلبون إلي أن أخالف أوامر الباب العالى ؟ ! إنكم تطلبون المستحيل . . . لقد قبلت المنصب والرتبة فلا بد أن أرحل إلى جدة .

سليمان : وكيف تتركنا ؟ ! ومن يهتم بنا إذا تخليت عنا ؟ . .

محمد علي : إن خورشيد باشا صاحب الأمر في البلاد وتستطيعون أن . . .

ضابط(١) : نحن لانقبل أن يتحكم خورشيد فينا .

ضابط(٢) : ألا من سبيل لتحقيق أمنية رجالك يامولاي ؟ !

محمد على : لاأظن ، فانها تتعارض وأوامر الباب العالى .

سليمان : يؤلمني ياسيدي أن أصرح بأن رجالك قد قر رأيهم على أن يحولوا بينك وبين السفر .

محمد على : أجاد أنت فيما تقول ؟ !

سليمان : أجل ياسيدي ستمنعك بكل الوسائل .

محمد على : كيف ؟

ضابط ٢ : سنلجأ إلى القوة إذا أدى الأمر إليها .

محمد على : وإذا صممت أنا على السفر ؟

ضابط ١ : تعرض نفسك للخطر .

محمد على : إن ذلك تهديد !

سليمان : سيدى . . . إن خورشيد هو الذى سعى لإبعادك ليتحكم فينا ويستبد بنا .

ضابط ٢ : إنه لا يريد بنـا الشر فحسب ، بل بك أيضاً . . . إنك تدرك خديعته وتعرف أن فى سفرك الخطر كل الخطر ومع ذلك تصر على رأيك . . .

محمد على : إذا نزلت على رغبتكم كنت فى نظر السلطان ثائراً وحق لخورشيد باشا أن يلقى القبض على ويرسلنى إلى الأستانة .

سليمان : لن يستطيع هذا . . . إننا قوة كبيرة فى البلاد . . . ثق يا سيدي أنه لن يصل اليك إلا على أجسادنا

محمد علي : (يبتسم ويقول ساخراً) وإذا بدأت الحرب وقفتم فى وجهى بين يوم وآخر وجعلتم تطالبوننى بالرواتب أليس كذلك ؟ ! لا . لا . . . لن أقبل .

سليمان : مولاى . . . إننا لا نفكر الآن فى الرواتب ؛ نحن ننظر إلى كياننا ، إلى الخطر الذى يهددنا . . سنكون طوع أمرك فهل تعطينا كلمة ؟ . .

محمد على : لا أستطيع أن أفكر فى الأمر إلا إذا وثقت من شيئين : ألا يطالبنى الجنود بالرواتب الآن ، وألا يوقفونى مواقف حرجة فيما بعد .

سليمان : لك ذلك ياسيدى . لن تكون الرواتب مصدر قلق لك

محمد على : (ساخراً) أحق هذا ؟ !

ضابط ١ : أجل يا سيدي ولنقسم بين يديك

(يدخل سرور ويؤدى التحية)

سرور : مولاى . . . الشيخ عبد النعم .

محمد على : (لسرور) ادخله حالا (لسليمان أغا) لا أستطيع أن أعطى كلمة الآن . . . وسأرسل إليكم كلمتى فى المساء ؛ وعليكم أن تكونوا على استعداد .

سليمان : حسن يا سيدى

(يؤدى الثلاثة التحية ويخرجون)

(يدخل الشيخ عبد المنعم مسرعاً)

عبد المنعم : مولاي . . . إنهم في أثرى إلى هنا .

محمد على : من ؟

عبد المنعم : السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى والأعيان وأولاد البلد .

محمد على : وما ذا حدث ؟ . . .

عبد المنعم : أوه ياسيدى . لقد كان يوماً عظيما . . . احتشدت الألوف . . .

محمد على : (مقاطعاً) عفواً يا سى الشيخ أعرف كل هذا ،

أريد أن تقص على مادار فى الاجتماع . أريد النتيجة فحسب .

عبد المنعم : وقف السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى ومن ورائهما العلماء والأعيان أمام منصة القاضى، وعرض السيد عمر مظالم الشعب فكان الجميع لساناً واحداً على خلعه

محمد على : وما السبب الذى بنى عليه قرار الخلع ؟ !

عبد المنعم : السبب أنه حاد عن سنن العدل وسار بالظلم فأصبح خارجاً على الشريعة .

محمد على : وبعد ؟

عبد المنعم : تحدث العلماء وأصحاب الرأي فى إختيار وال جديد واقترح السيد عمر مكرم اسم مولاى فقال الشيخ الشرقاوى : « إننا لا نستطيع أن نجد خيراً منه » وقال آخر : « إنه رجل ذكي محب للخير » وتبارى العلماء والتجار فى ذكر مناقب مولاى .

محمد على : ألم يعترض أحد ؟

عبد المنعم : لم يعترض أحد على شخصك يامولاي ولكن البعض رأى فى التعيين دون الرجوع إلى الباب العالى افتئاتاً على حقوقه

محمد على : وماذا قال السيد عمر ؟

عبد المنعم : ثار وصاح قائلا : « أي حقوق ؟ يجب أن يكون للشعب رأى فى اختيار حاكمه . . . كفانا مالقينا من حكامهم

محمد على : (يبتسم) ياله من رجل جرىء ! — فما الذى كان ؟

عبد المنعم : نزل الجميع عند رأيه فى النهاية وقرروا أن يجيئوا إلى هنا ليعرضوا عليك الولاية

(تسمع ضجة وجلبة صادرة من بعد تقترب شيئاً فشيئاً)

عبد المنعم : أتسمع يا مولاى ؟ . . إنهم قادمون

(يسير محمد علي إلى نافذة ويطل من خلف الستر وينصت قليلا ثم يلتفت إلى الشيخ عبد المنعم)

محمد علي : اذهب الآن . . . لا أحب أن يراك أحد هنا وتستطيع أن تدخل معهم

عبد المنعم : حسناً ياسيدى . . (يخرج)

(يعود محمد على ليطل من خلف الستر . ترتفع أصوات الشعب ويسمع هتافات مختلفة وضرب بالدفوف)

(يدخل سرور ويؤدى التحية)

سرور : السيد عمر مكرم والعلماء ياسيدى

محمد على : أدخلهم يا سرور

(يخرج سرور وبعد لحظة يفتح الباب على مصراعيه ويدخل السيد عمر مكرم ثم الشيخ الشرقاوى وكثير من العلماء والأعيان)

السيد عمر : السلام عليكم ياسيدى

محمد على : عليكم السلام ورحمة الله . . .

(يتقدم محمد على ويصافح الجميع)

محمد على : تفضلوا . . . (يشير إليهم بيده فيجلسون) خيراً يا سيد عمر ؟ لعل ما جئتم من أجله خير ؟

الشيخ الشرقاوي: إنه خير باذن الله يا سيدى

السيد عمر : سيدى . . . لقد خلعنا خورشيد باشا من الولاية على البلاد واخترناك والياً علينا وجئنا نعرض الأمر عليك

محمد على : أيسمح لى صديقى أن أوجه إليه سؤالاً ؟ !

السيد عمر : تفضل ياسيدى

محمد على : هل من سلطتكم أن تعزلوا الولاة وتقيموا غيرهم ؟

السيد عمر : أجل يا سيدى . . . « إن للشعوب طبقاً لما جرى به العرف قديماً ولما تقضى به أحكام الشريعة الاسلامية الحق فى أن يقيموا الولاة ولهم أن يعزلوهم إذا ما انحرفوا عن سنن العدل وساروا بالظلم لأن الحكام الظالمين خارجون على الشريعة . . . »

الشرقاوى : ولقد انحرف خورشيد عن العدل وسار بالظلم ، لذلك أجمعنا على عزله واختيارك مكانه فإننا نتوسم فيك العدالة وحب الخير وبعد النظر

محمد على : ولكن خورشيد باشا لن يقبل القرار

السيد عمر : سواء علينا قبوله أو رفضه . . . فإن إرادة الشعب فوق إرادته

محمد على : وإذا رفض النزول من القلعة ؟

السيد عمر : نرغمه بالقوة

محمد على : وإذا لم يرض الباب العالى أن يسلم لكم بحق اختيار الحاكم

السيد عمر : لا يهمنا سلم أم لم يسلم . . . يجب أن يخضع لرأى الشعب ويختار الحاكم الذى نرضاه

محمد على : ولـكن الأمر خطير ... فهل قدرتم مبلغ خطورته

السيد عمر : أجل يا سيدى ... الشعب يتمسك بحقه كاملاً ولن يقبل التفريط فيه وإن كلفه ذلك حياته

الشرقاوى : أجل . . . لن نقبل التفريط فى حقوقنا وفيما تفرضه الشريعة علينا

السيد عمر : البلاد مصرة على تنفيذ إرادتها ولو أدى الأمر إلى استعمال القوة

محمد على : أما من سبيل إلى الرجوع ؟ . .

السيد عمر : (مقاطعاً) عفواً يا سـيدى . . . لقد جرب الشعب المصرى فى السنين الماضية أكثر ما يجربه شعب من المظالم والمتاعب وقد صحت عزيمته على ألا يرضى بحاكم (يشير بيده إلى محمد على باشا) إلا الذي اختاره

العلماء : أجل . أجل . لا نرضى إلا به

السيد عمر : هل تقبل يا سيدى ثقة هـذا الشعب الذي أحبك واختارك دون غيرك والياً عليه ؟

محمد على : إننى عالم بمـا فى قبولى من خطورة ، عالم به تماماً ولـكننى أمام إجماع الشعب ونزولاً على رغبة ممثلي الأمة الـكريمة لا يسعنى إلا القبول

الشرقاوى : شكراً يا سيدي . . .

محمد على : وإننى أشعر بثقل الحمل الذى تريدون وضعه على عاتق

السيد عمر : نحن على يقين من أن الله سيعينك وأنت بلا شك عالم بما تمتلىء به قلوبنا من الآمال

محمد على : أسأل الله أن يوفقنى إلى تحقيقها بمؤازرتكم ومعونتكم

السيد عمر : سيطلع علينا عهـد جديد باذن الله تبطل فيه المظالم وتقام فيه الشرائع والأحكام

محمد علي : لن يبرم أمر إلا بمشورتكم ومعونتكم إن شاء الله

(يتناول السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى صرة من أحد العلماء ويخرجان منها ملابس تشريفه وهى عبارة عن جبة عليها كرك ويقفان ثم يتقدمان إلى محمد علي باشا الذي يقف فيلبسانه الجبة بين سرور العلماء)

السيد عمر : مولاى . . . لقد اختارك الشعب لأنه رأى الخير فى اختيارك ولن يرضى بديلا منك . نسأل الله تعالى أن يسدد خطاك ويديم الملك فيك وفى بيتك

العلماء : (يقفون ويرفعون أكفهم بالضراعة) آمين . . .

محمد علي : أشكرك ياصديقى وأشكر السادة العلماء وأصحاب الرأى فى البـلاد . . . إننى سعيد بثقة هـذه البـلاد العزيزة وأسأل الله أن يعيننى على خدمتها ورفع لوائهـا حتى تعيد مجدها الغـابر وتصبح سيدة الأمم .

العلماء : (رافعين أكفهم بالضراعة) آمين .

(تسمع ضجة من الخارج عند باب القاعة ويرى حجاج الخضرى يحاول الدخول ولـكن الجنود يمنعونه ويمسكون به وسرور ينهره)

سرور : لا . لن تدخل .

حجاج : دعني . . . أريد أن أكلم الباشا .

محمد على : دعوه . . . دعه ياسرور

(يترك الجنود حجاجاً فيتقدم خطوة نحو الباشا)

حجاج : مولاى ... الشعب يريد أن يرى الوالى الذى اختاره

السيد عمر : أجل يا سيدى ... يحسن أن تطل عليهم من الشرفة

(يسير محمد على إلى الشرفة ويفتحها ويخرج ليطل منها وإلى جانبه السيـد عمر وخلفه الشرقاوى وعند ما يظهرون للجماهير ترتفع أصواتهم بالهتاف كالرعد)

أصوات : ينصر الله الوالى . ينصر الله مولانا السيد عمر . ينصر الله الباشا .

(ستار سريع)

عاش الملك

بقلم السيد زياده

أية قوة تنبعث فى نفسى الآن لأكتب ؟ ... ألا ما أشدها قوة نازية بالفرح أستغربها على نفسى أنا المخلوق لأحزن !! ولكنى إذ أنتشى وإذ يستطيع الفرح أن يستأثر بنفسى إنما أرانى فرداً ضئيلا من أمة فيه بعض ما فيها جماعات وأفراداً من صخب الفرح ، ولاء للعرش القائم على دعائم المجد ، وحفاوة بالملك القادم بين دعوات القلوب .

* * *

لقد دنت من الأفق شمس اليوم الضاحك الذى ينصرم فيه تاريخ مصر الممتحن ليبدأ به تاريخها السعيد ...

اليوم الذى نظر إليه الشعب من بعيد كأول أيامه الخالدة ، وميلاد حياته الزاهرة ، وفاتحة عهده الجديد ...

اليوم الذى تنتظره الأمة انتظار المحب الولهان ليوم اللقاء الموعود .

اليوم الذى تتقدمه الحياة منذ شهور ببشائر الخير ، وتحفه بدلائل النعيم ، وتزفه بآيات الفرح ...

اليوم الذى يجلس فيه مليكنا الدستورى على عرشه المؤيد ليملك زمام شعبه المخلص له ...

دنا اليوم الذى يتحقق به حلم الشباب فى قلب مصر
وافتر ثغر الحياة عن بسمة الزمن
وتهافتت القلوب من أعماقها بالولاء للملك
ورقص غصن النيل المديد المياس بحواشيه وأعطافه

ونادى المنادى بأن فاروق الحبيب مقبل بعد غيبة ليتلقى بكاهل الشباب أعباء الملك فهب الجميع يهتفون : عاش الملك . عاش الملك

* * *

مرحباً يا مرمق أبصار الأمة ، ومبسم ثغر النيل ، وحبة قلب الكنانة ، وعنوان فخر الشباب ...

مرحباً يا باعث المجد من مرقده ، وناشر العز بعد انطوائه ، ومطلق الشعب فى هنائه ...

مرحباً يا حجة الزهو حين تزهو ، وقوة الأرواح حين تصبو ونور النفوس حين تسمو ، وحياة العزائم حين تتحد ...

مرحباً يا قائد الأمة الحيـة ، ومعجب ملوك العالم ، وحامل لواء السلام ...

* * *

أيها القادم من حيث فتن الغرب بجلاله ، ليفتن الشرق بأعماله ؛ هذه أرواحنا تناديك ظامئة إليك ، تستقبل من صفو وجهك الرىّ والحياة

أيها المتهلل بطلعة القمر من أبهة الملك فوق عرش الأفئدة .. هذه قلوبنا تحييك مصفقة لك خافقة بك تقتبس من حبك المرسل فى نواحيها النور والأمل . . .

أيها المشرف على واديه السعيد به إشراف العاطف الكريم الحنون . . . هذه عيوننا تتطلع إليك مرقرقة فيها دموع الفرح متسامية إليك منها نظرات الحنين ، تطالع فى ركابك العالى بهجة العيد الدستورى المخلد . . .

* * *

يا أيها المليكُ الملكُ . . . إن لك فى كل موضع من كل قلب صورة تقدّس واسما يُرَدَّد .

يا أيها العاهل العظيم ، أقبل على وادى النيل الشاعر بأنك رمز آماله . . . إن لك فيه تاجاً سنياً عَقَدَت نسجه العتيدَ مئاتُ السنين بيد الخلود ، وعرشاً جليلاً هيأتْ مجلسه الوطيدُ قلوبُ الشعب بأعظم الولاء ... فما خلقت هامتك الشريفة إلا لتحمل أعرق تيجان الملوك ، وما خلق مقامك السنىّ إلا ليتبوأ أسنى عروش الدول.

* * *

يافاروق ! لقد أشرق فى بدء عهدك تاريخ الفاروق ، ومضيت على سَنن أبيك لتتمَّ نهجَه ، واتبعت فى علاك مناهج الرسل ؛ فما أسعد المُلكَ الأشمّ بك ، وما أكبر المثل الأعلى للملوك فيك !!.

ليست عابثةً هذه الأمة التى تعد نفسها لتحييك بتحية فاقت كل تحايا الأمم للملوك بروحها الدفاقة الزاخرة التى هى روح الحب فى إيمان القلوب تحت إلهام الله . . . هذه الحماسة المتقدة فى قلوب شعبك ماهى إلا تعلقه بك ، وهذا البشر الشامل كل بقعة من وادى النيل ماهو إلا ولاؤه لك . . .

إن لنا من عبقرية شبابك آمالا شابة ناضرة ستحققها الأيام بيدك.

فامض بالأمة فيما شئت من سبل المجد ، وضع مصر من حيث أردت لها من صفوف الدول الماجدة ، وابسط علينا من ظلالك حياة العز والرَّغد ... وعش لنا يافاروق ...

السيد زيادة

إلى سدة المليك الشاب
شعب يبايع

للأستاذ محمد غنيم

النيل (1) تحمل سبط إسماعيلا — أرأيت نيلاً جاء يحمل نيلا
لو كانت الأملاك تحدو مركباً — لرأيت بين حداتها جبريلا
سارت فغض البحر من غلوائه — ومشى كما تمشى الجياد ذلولا
هبت عواصفه فكن حيالها — رهواً كما هب النسيم عليلا
مالا طمت أمواجه جنباتها — بل أوسعت جنباتها تقبيلا
لو أن زاخفة تفوه لكبرت — نيناته ولهللت تهليلا
يا بحر فوقك درة هيهات أن — تلقى لها فيما حويت مثيلا
أولست تعرف فيه من أجداده — قطعوك عرضاً بالسفين وطولا؟
فلطالما ملأوا المياه مراكباً — ولطالما ملأوا السهول خيولا
عرفتهم الأيام إن هم حاربوا — أسداً وإن حكموا الأنام عدولا

* * *

أشرق بنورك فى البلاد فإنما — صبر البلاد على فراقك عيلا
الشعب يا فاروق صاد. نيله — من يوم بعدك لا يبل غليلا
ما كان يسعده التجلد ساعة — لو لم يكن بك قلبه مأهولا
ماغبت عن بصر البلاد وسمعها — يوماً ولا بعدت ركابك ميلا
كانت تطالع ماتقول فتنتشى — طرباً. وإن من المقال شمولا
وترى على القرطاس رسمك زاهياً — غضًّا فيصبح طرفها مكحولا
قد كنت أنت حديثها وسكوتها — حتى غدا بك وقتها مشغولا
زرت الممالك داعياً فكشفت عن — مصر الفتاة حجابها المسدولا
أنعم بشعب أنت عنوان له — وكفى بعنوان الكتاب دليلا
تمشى الممالك فى ركابك أينما — تمشى وتحنى هامها تبجيلا
سمعوا بمجد الأقدمين وأبصروا — بعيونهم للأقدمين سليلا
كي يعلموا أن الكنانة أمة — طابت فروعاً فى الورى وأصولا
إنا لفى زمن يفيض دعاية — كادت تدق به الشعوب طبولا
هم يعلنون عن الشعوب كأنها — سلع ونرضى بالسكوت خمولا
من راح ينشر للبلاد دعاية — فكأنه يبنى لها أسطولا

* * *

ولي الأمور بعصر أصيد يافع — بز الأوائل فتية وكهولا
جاشت بصدرى يوم قلد عرشه — ذكرى فراعنة القرون الأولى
ما أبهج الإكليل فوق جبينه — هذا الجبين يزين الإكليلا
هذا هو الفاروق أشرق وجهه — فسل الغزالة هل تريد أفولا؟
أفديه من ملك أغر وراءه — شعب يرتل حمده ترتيلا
يعنو لطلعته ويهتف باسمه — ويكاد يتلو قوله إنجيلا
ملك تواضعه يزيد جلاله — ليس الغشوم المستبد جليلا
ينسيك من فرط التواضع تاجه — فتكاد تحسبه أخاً وزميلا
يرنو إليه الطرف غير منكس — والبدر يظهر من سناه خجولا
يقضى لبانته الغنى ببابه — ويرى الفقير دعاءه مقبولا
لبق الحديث كأنما هو ملهم — قد أدرك المعقول والمنقولا
لا تحص أعمار الملوك فإننى — أجد الملوك مداركاً وعقولا
ماقلت: قد بلغ الرشاد بسنه — فعليه كان بطبعه مجبولا
إنا عهدنا الرشد فيه سجية — ما كان فى يوم عليه دخيلا
ماضر غرساً طاب قبل أوانه — أن كان حراً فى النبات أصيلا
قد كان ذو القرنين مثلك يافعاً — وأرى كما تتشابهان ميولا
هيهات أنت أجل منه حضارة — وأعز أوطاناً وأكرم جيلا

* * *

---

(1) النيل باخرة مصرية من بواخر شركة مصر للملاحة

فاروقُ تلك عِنايةُ اللهِ التى قد حَقَّقَتْ فى عهدك المأمولا
إن الكنانةَ ظنَّتِ استقلالَها حُلماً فكنتَ لحُلْمها تأويلا
وهى المشاكلُ كلُّها وَجدتْ لها فى عهدك الزاهى السَّعيد حُلُولا
عَهْدٌ قصيرٌ غيرَ أنَّ غُضُونَه فى جَبْهَةِ التاريخ صِرْنَ حُجُولا
لو حاكتِ التيجانُ تاجَكَ لم يجدْ يوماً إليها الثائرون سَبيلا
ليتَ الذينَ وَلُوا العروشَ جميعهم كانوا على حكم الشعوب نزولا
أسِّسْ على الدستور مُلكَكَ وابْنِه تَبلغْ به الشمَّ الرواسىَ طولا
كم ثَلَّ الاستبدادُ عرشاً بعد ما أجرى حواليه الدماء سُيُولا
مَنْ لم يعزِّزْ تاجَه وسريره باللهِ والدستورِ كان ذليلا

* * *

إنَّ الكنانةَ بايعَتْكَ فكُنْ لها ظِلًّا كما كان الجدودُ ظليلا
وَهبتْ لعرشك مالها ودماءها إنْ شئتَ تَلْقَ كليهما مبذولا
فامْلأْ بلادك حكمةً ومعارفاً واجْعلْ بلادك فى المناعة غِيلا
لن يستقيمَ لشعبٍ استقلالُه يوماً إذا حَملَ السِّلاحَ كليلا
أين المدافعُ كالرُّعود دويُّها والخيلُ تَصْهَلُ بالجنود صهيلا
يا رُبَّ طائرةٍ سمعتُ أزيزَها فحسبته فى مَسْمَعَىَّ هَديلا
فانهض بمصرَ وجيشها حتى يرى شَبَحُ المنيةِ طَيْفَها فيميلا
واكبحْ جماحَ الطامعين وقُلْ لهم لا تطمعُوا فى أختِ عِزْرائيلا
وهُنا تُعادى مَنْ تشاء عِداءَهُ مصرٌ وتأخُذُ من تشاء خليلا

* * *

فاروقُ يَفْديك الحمى بهلاله وصليبه . وأرى الفداء جليلا
أصبحتَ فى مرح الشباب ولَهْوِه عن خير شعبٍ فى الورى مسؤولا
حَملَ الشبابُ يَراعَهُ وكتابه وحملتَ عِبئاً كالجبال ثقيلا
أوْلتكَ مصرُ قيادَها فأعِدْ لها مجداً بناهُ الأقدمون أثيلا
وسُسِ الأمورَ إذا جَمَحْنَ بمُصْطفى تَلْقَ الحُزونَ إذا مشيتَ سُهولا
هو صارمٌ ماضِى الغِرارِ أليلُهُ فاحمِلْهُ عَضْباً فى يديك صقيلا
قد أفرغَتْ مصرٌ كنانَتَها فما رضيتْ به بين السهام بديلا
وإذا تحوَّلتِ الجبالُ فمُصطفى عن حقِّه لا يقبلُ التحويلا

* * *

يا مصطفى لَهِجَتْ بذكرك أمَّةٌ أبناؤها لا يجحدون جميلا
ولقد توليتَ الأمورَ فلم تكنْ سيفاً على رأس الحمى مسلولا
لا تَثْنِيَنَّكَ عن طريقك عُصْبةٌ ملأتْ حناجرُها البلادَ عويلا
إنَّا بلوناهم فكان فعالُهم مُرًّا وكان كلامُهم مَعْسُولا
فلْينصبوا فى غير مصرَ شِباكَهُم حَسْبُ البلادِ وحَسْبُهم تدجيلا
سِرْ فى طريقك . لا تُعِرْهُمْ مَسْمَعاً واعْلَمْ بأنَّ من الكلام فُضُولا
أنَّى اتَّجهتَ وجدتَ خلفك أمَّةً ورأيتَ ربَّك بالنجاح كفيلا

« كوم حماده » **محمود غنيم**

تتويج رعمسيس الثاني

فرعون مصر الشاب

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

كانت وفاة الملك سيتي الأول والد رعمسيس فجيعة للبلاد جزعت لهـا ولبست من أدناها لأقصاها ثياب الحداد . وقد قضى نحبه فى عنفوان العمر واكتمال الرجولة بعد حكم مجيـد زاهر . فامتد سلطانه واتسعت رقعة ملكه شمالاً حتى دانت له الشام كلها ، وبلغ حدود الحثيين فى آسيا الصغرى وممالك بابل وآشور إلى أعالى الفرات ، واستتب له الأمر جنوباً فى النوبة ، وضرب على أيدى قبائل البدو فى الصحراء الغربية فكف عن الوادى الخصيب غاراتهم المتكررة . ثم جعل همه إلى صلاح البلاد وعمرانها ؛ وأمامنا حتى اليوم على علو همتـه شهود ناهضة ناطقة ، منها ضريحه الرائع ومعبد العرابة وبهو الكرنك الشاهق مرفوع السمك على عُمُده الفخمة وقد ازدانت جوانبها بتهاويل منقوشة تمثل انتصاراته وتروى وقائعه تخليداً لعظمته ومجده .

ولكن كان العزاء عن فقده ما يبدو من المخايل على ولده وإن كان بعد في سن الحلم .

فانظر إلى المليك الشاب من ذا الذى لا يعنو لفتنة طلعته ! فانه ليروعك أول ما يروعك ــ بالقامة الفارعة وجمال الوجه واستواء الخلق ، وهو ممشوق لطيف الأوصال لدن الأعطاف حلو الشمائل ، ومع ما يلحظه المتأمل فى ملامحه من القوة والتفاوت كضيق الجبين وقنى الأنف ومتانة الفك وشدة الذقن فان هذه جميعاً تكسوها سماحة ودماثة . كما أنه ليس من ذوى الطبائع الحزينة المسترسلة فى سبحات التفكير الهائمة فى أودية الأحلام ، وإن كانت له سيماؤها لفرط ما صقلته التربية وهذبت حواشيه ، وإنما طبعه الغالب هو الأقدام والعزيمة يعمران هذا الجسد الذى ارتاض على المشقة والجهد من سباق العجلات إلى الرماية والصيد فضلا عن المعارك الحربية ، فتوفرت له منها مزايا سرعة الحركة ورباطة الجأش والاستخفاف بالخطر . وشد ما كانت تستجيشه أوصاف الشعراء لوقائع أسلافه . ثم هو يحس منذ نعومة أظفاره بأنه مولود للرياسة والملك . وكان يطيب له أن يستذكر المراسم التى هيأته لوراثة السلطان ، فيذكر شعائر التطهير وكيف ضمه والده إلى صدره على مشهد من كبراء الدولة ورجال القصر لتسرى إليه نفحات الحياة ، ثم نادى به ملكا من بعده فى وسط الهتاف المتصاعد والمديح المرتل .



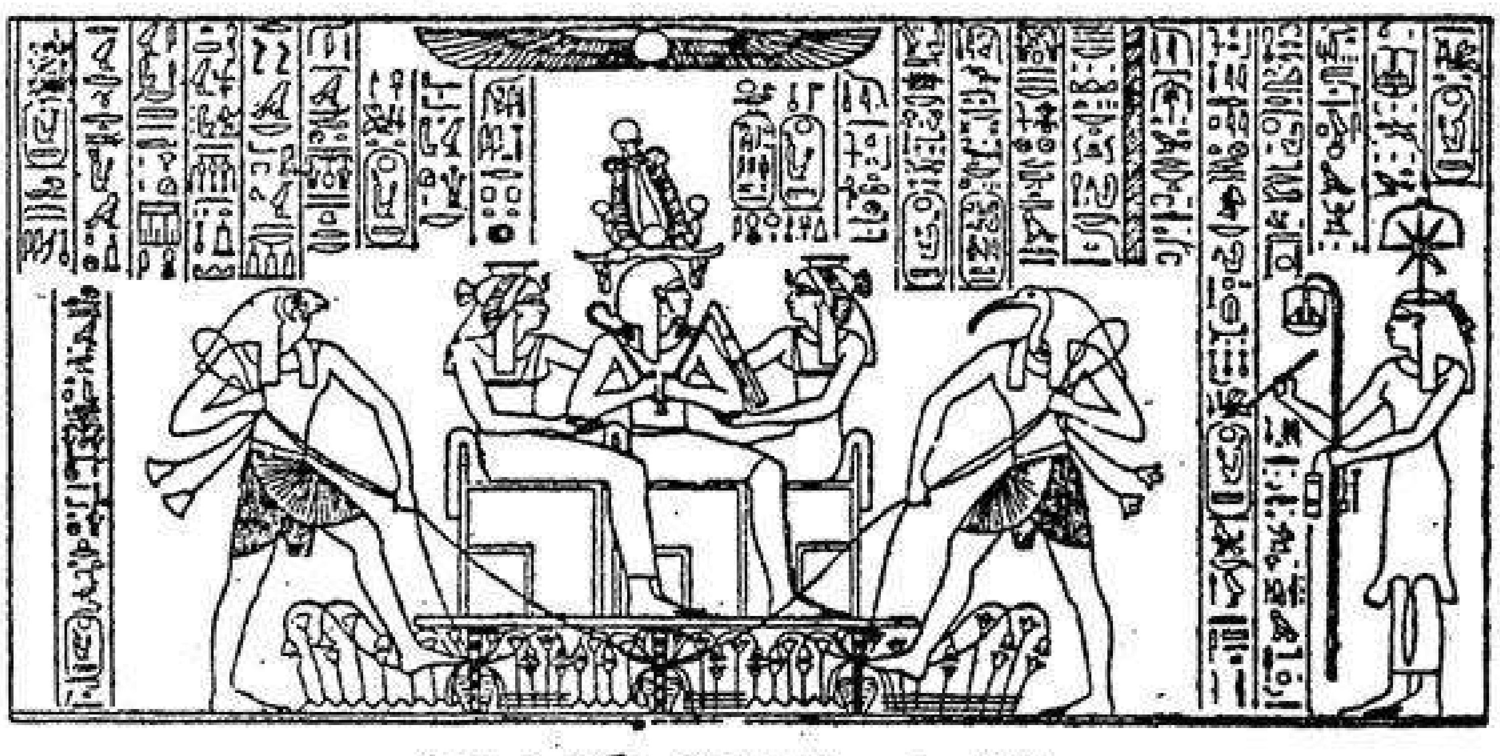
تمثال رعمسيس الثانى فرعون مصر الشاب
(محفوظ بمتحف تورين بإيطاليا)

ولقد كانت التقاليد الدينية والسياسية حافزاً للفراعنة على رعاية مملكتهم بهمة وصدق ، فهم على العرش خلفاء الآلهة ، وهم مسئولون عمـا يفعلون بين يدى أوزيريس فى يوم الحساب . فلا جرم يكونون فى مقدمة خدام الدولة الساهرين على تدبير شئون مصر وممتلكاتها وتفقد أحوالها . وإن رمسيس لم يكد يشب عن طوقه ، ويتجاوز طور الطفولة حتى تولاه أبوه يدربه ويخرجه على يديه . فصحب الابن أباه فى حرب الشام ، وكان يعاونه فى الحفلات الدينية ويطلع على كافة شئون الملك وتدبير إدارته . فهو لمـا توكله إليه الآلهة اليوم من واجبات وتبعات غير هياب .

ولقد انقطع بين عشية وضحاها عهده بالصبا الغرير حين اجتز حلاق القصر طرته المتهدلة على صدغه الأيمن شارة عليه . وعما قريب تضاف إلى قدرته الانسانية على عظمتها قوى الهيبة تنتقل إليه مع شعائر الملك . وهذى رعاياه كبيرة الأمل كشأنها فى مستهل كل عهد بأنه وإن كان الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل .

ولقد جرت العادة منذ ألفى سنة بأن تجرى مراسم التتويج فى منف عاصمة الوجه البحرى بمقتضى احتفال مقرر منذ أقدم عصور المملكة المصرية المتحدة . ولكن فراعنة الدولة الحديثة قد آثروا أن يكون تتويجهم فى طيبة عاصمة الصعيد وهو منشؤهم ومنبت أعراقهم تحت رعاية الاله آمون . فلما جاء رعمسيس عاود السنة القديمة لأن أسرته من الدلتا ولأنه فوق ذلك موقن بأن الوجه البحرى يرتفع كل يوم شأنه ويعظم خطره من الناحيتين الحربية والاقتصادية .

وهكذا استهلت أعياد تتويج رعمسيس فى منف بعد الفيضان . ومنف مدينة عريقة في القدم واقعة فيما يلي ملتقى فرعى الدلتا وهى عامرة بالأهلين تطوقها خمائل النخيل الباسقة ، وتقوم فى أفقها الغربى مثلثات الاهرام ، وتسطع شمسها المتجددة على الحقول فتشيع فى فلاحيها النشاط والطرب كما تهب من ناحية بحر الروم نفحة باردة تنعش الأبدان .



حفلة التتويج عند الفراعنة (من آثار العرابة)

ولما كان المصريون الأقدمون يؤمنون بأن الاسم — سيان المنطوق والمكتوب — يقوم مقام المسمى وله قوة رهيبة تخلق الأحياء والأشياء ، فقد عكف الكهان على اختيار الأسماء الملكية الأربعة ليكمل بها اسم الملك . وتم بسرها لرعمسيس سلطة الملوك وجبروت الأرباب .

ثم تعاقبت المراسم تنقل للملك الجديد القوى السحرية المقترنة بتاجى مصر . فترى الملك بعد التطهر يتلقى على هذه المنصة التاج الأبيض شعار الوجه القبلى ، وعلى منصة أخرى التاج الأحمر شعار الوجه البحرى ، ويسمون هاتين الحفلتين إشراق ملك الجنوب وإشراق ملك الشمال . ويقوم بالتتويج كاهنان مقنعان يمثل أحدهما الاله حوريس فى صورة صقر ، والآخر الإله ست فى صورة سلوقى . ثم يتوج الملك بالتاج التوأم للوجهين القبلى والبحرى معا ، ويجلس على العرش وعلى جانبيه إله الجنوب وإله الشمال وقد وضع الكاهنان إلى دعامة العرش أزهار اللوتس وهو نبات جنوبى ، والبردى وهو نبات شمالى ، وربطا النباتين بعضهما إلى البعض بأربطة متقاطعة . وهما مع هذا لا ينفكان يشدان فضول الأربطة بيديهما ويسندان برجليهما عراها حرصاً على توثيقها ؛ وأخيراً ينهض الملك والتاج على رأسه وهو متشح بالطيلسان وفى يديه المحجن المعقوف وسوط أوزيريس ويؤدى فريضة « الطواف بالحائط » حول المحراب إشارة إلى أنه يتسلم ملك حوريس وست ويتكفل بصيانته ودفع العدوان عنه .

ولم يبق بعد ذلك إلا اتخاذ الضمانات الرسمية . فان الآلهة تتخذ سجلات مستوفاة تحصى فيها كل شىء تجنباً للملاحاة والخلاف . وهذان كاهنان يمثل أحدهما إله العلم تحوت ، ويمثل الآخر إله الكتابة سخت ، يحرران الصكوك بالصيغة الملكية ويودعانها ديوان السماء . وأخيراً يدونان اسم رعمسيس على ورقة من نبات السبط المقدس تخليداً لحكمه .

ولقد كان لتراتيل الكهنة فى وسط السكون الرهيب فعل الرقى والتعازيم السحرية فى نفس رعمسيس ، فضلا عما كانت مصحوبة به من الحركات الموزونة والوقفات النبيلة والاشارات الملتوية فى ترسل ويسر . فامتلأ يقيناً بالرسالة الموكولة إليه وبقدرته على تأديتها وبأن التوفيق ملازمه طيلة حياته . ونهض بعد انتهاء المراسم وقد سرت فى أعطافه النفحة الالهية .

وحكم رعمسيس فرعوناً على مصر .

وقد ذهب بعدها إلى طيبة حيث جرى شبه تتويج ثان له ، وكان ثمة عيد الاله « مين » فى آخر مارس عقب موسم الحصاد . وعبادة « مين » لها شأنها الأكبر فى بلاد مصر الزراعية ، فهو إله الخصب وحامي الحقول والبساتين ، وهو يقرن أحياناً بآمون إله طيبة الأعظم ورب الأرباب والبشر وأب الفراعنة . وفى هذا العيد قدم الملك إلى « آمون — مين » قربانا من الحصاد فى ذلك الأوان

وقد غادر رعمسيس قصره فى طيبة كما تطلع الشمس باهرة اللألاء من مشرقها ، وشخص إلى هيكل «مين» فى محفته الفاخرة يحملها ويحمل المراوح إلى جانبيها عظماء الدولة ، ويتقدم المحفة الملكية كاهنان يمسكان مجامر البخور ، وكاهن آخر يرتل الأناشيد وهو ممسك بيده قرطاساً من البردى . وفى طليعة الموكب تعزف الطبول والأبواق عزفها الهاتف الآمر ، ويسير وراءه فى نظام جليل رائع أكابر رجال القصر تتبعهم فيالق من جنود الحرس البواسل . ولكن الاله « مين » يخرج من محرابه محمولاً على أكتاف ثلاثين كاهناً يصحبه عجل أبيض باعتباره الصورة الحية التى يتجسد فيها ، ويتقدمه صف طويل من الكهنة يحملون الشارات الدينية وتماثيل السلف الصالح من الفراعنة الراحلين ، ويتقدمون إلى المذبح حيث الملك واقف . وهنا يتعرف الاله مين على ابنه فيدخله فى عداد الأرباب كسائر أسلافه . وإنه لحدث عظيم . وإذ ذاك يطلقون طير الأوز فى جهات الأفق الأربع لاذاعة البشرى فى أركان المعمورة كما فعل الآله حوريس نفسه عند تتويجه . ويجرى الاحتفال ويتم فى وقار ودقة على حسب الأصول المرعية . وفى النهاية يقدم الملك القرابين لتماثيل أسلافه ويقتطع بمنجل قصير جرزة مصطنعة فيقدمها للآلهة باعتبارها باكورة الحصاد فى عهده

ويعود فرعون إلى القصر ، فيقبل عليه رجال البلاط ووزيره باسار وجميع الموظفين يحيون مليكهم وينشدون فى مديحه :—

أقبل علىّ بوجهك أيها الشمس المشرقة
يا من تضىء القطرين بسنا جمالك
أنت شمس الورى
تنفى عن مصر الظلمات
ولك طلعة أبيك رع
الصاعد فى معارج السماء
وإليك يوحى بكل ما يجرى فى بلدان الأرض
وأنت راقد فى قصرك
وإنك لتسمع ما يدور فى الخافقين من أحاديث
لأن لك الألوف من الأسماع
وعينك أنفذ من نجوم السماء
وتبصر مالا تبصره الشمس
وكل ما يقال ولو كان همساً ونجوى
يقع لا محالة في سمعك .
وكل ما يفعله امرؤ في الخفاء
فان عينك تراه .
يا رعمسيس يا رب الجمال ورب الحياة !

وكذا كانت أعياد التتويج عند قدماء المصريين تمتزج فيها عبادة فرعون بعبادة الآلهة لاعتبارهم أن الملك العظيم هو حمى الدولة وحمى الدين .

عبد الرحمن صدقى

إبراهيم باشا

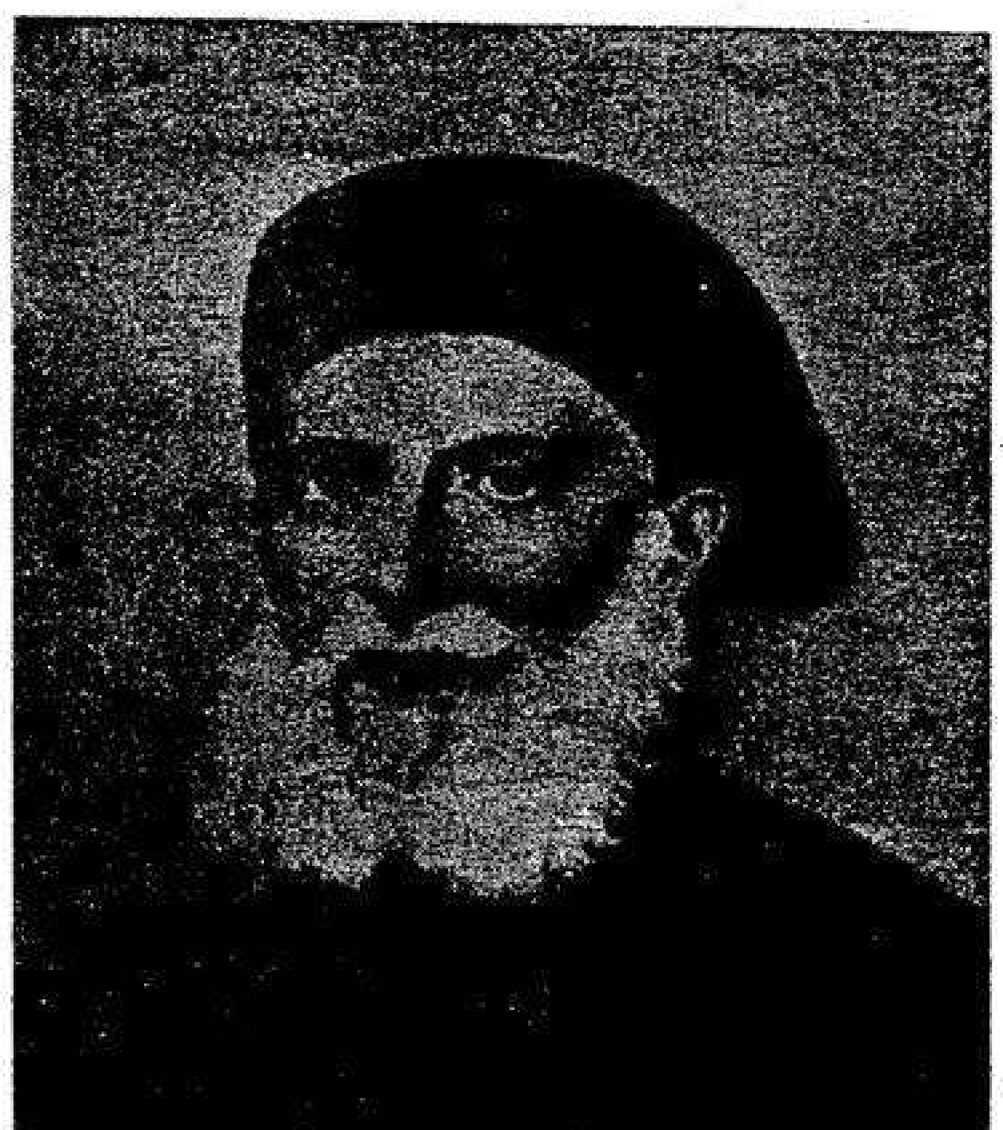
موقعة نصيبين

فى أواخر هذا الشهر يخرج الأستاذ محمد بدران ناظر مدرسة بنبا قادن الابتدائية ترجمة عربية لكتاب « إبراهيم » تأليف القاضى بيير كربتيس بتصريح خاص من شركة روتلدج الانجليزية ، والكتاب مثال من الدقة والأمانة فى الترجمة . وإليك فصلا من فصوله ننشره بمناسبة تتويج الفاروق أعز الله ملكه .

لما علم محمد على بأن الجيش التركى يستعد للزحف على بلاد الشام ويحرض أهلها على الثورة أمر وزير حربيته أن يلحق بابراهيم رغم معارضة قناصل الدول وأسرع وزير الحربية إلى مقر القيادة العليا لجيش إبراهيم . وكان الطريق أمامه طويلاً ، ولا يستطيع هو السير فيه مسرعاً كما يسير الرسول . ولذلك سبقه مبعوث خاص يحمل إلى إبراهيم أوامر أبيه . ولم نستطع الاطلاع على نص هذه الأوامر ، ولكن فى مقدورنا أن نتكهن بمعناها لأن إبراهيم قد خول منذ يونيه سنة ١٨٣٩ الحق المطلق فى أن يفعل كل ما يراه صالحاً ، فيبدأ الحرب أو يحافظ على السلم حسبما تمليه عليه الظروف[1]

ولما ترك محمد على لابراهيم أن يتصرف فى الأمر بحكمته وحسن تدبيره ، كان يعرف أنه لن يهاجم العدو إلا إذا اضطر إلى ذلك اضطرارا ، على الرغم من أن تركيا ومصر كانتا فى حالة حرب فعلية فى البر والبحر منذ شهر مارس من عام ١٨٣٩ ، كما أنبأ القنصل الاغريقى العام بالقاهرة حكومته فى ٢٦ من ذلك الشهر[1] . ولطالما استفز الأتراك إبراهيم بموقفهم العدائى ؛ ولولا قدرته على كبح جماح نفسه لتكشف ستار السلم عن حقيقة الحرب العلنية . وقد كتب فى ذلك القنصل اليونانى العام فى الإسكندرية إلى وزارة خارجيته بتاريخ ١٨ يونية يقول :

« تدل الأنباء الواردة من المنطقة التى يعسكر فيها الجيشان فى الوقت الحاضر على أن جيوش السلطان تواصل الزحف ، وتشجع أهل البلاد على الثورة بتقديم الأسلحة وبذل الوعود لهم . وقد تقدم (سليمان باشا والى مرعش) فى جيش مكون من نحو ثمانمائة فارس ، حتى بلغ عينتاب واستولى على المدينة ، وإن كانت قلعتها لاتزال فى أيدى المصريين . ويقال إن حافظاً باشا القائد العام للجيوش التركية كان مع هذه القوة ، ولكنه تخلف عنها قبل أن تصل إلى عينتاب . ورأى جنود السلطان سكوت الجيش المصرى وامتناعه عن القتال إطاعة للأوامر الصادرة من الوالى إلى إبراهيم باشا ، بعد أن هددته الدول الأوربية وأنذرته ألا يكون البادىء بفتح باب العدوان ، فاغتنموا هذه السانحة وتوغلوا فى البلاد من غير أن يلاقوا مقاومة ، اللهم إلا مناوشة بين الفرسان السالفى الذكر وكتيبة صغيرة من البدو »[2] .



وقد أفصح هذا القنصل العام نفسه فى رسالة سابقة بعث بها إلى حكومته عن حقيقة تهديد الدول الأوربية . وقبل أن ننقل إلى القارىء شيئاً من هذه الرسالة نقول إن ميخائيل توسزا Michael Tossizza الذى بعث بهذه المعلومات إلى أثينا ، لم

(*) تقع قرية نصيبين على الطريق الواصل بين بيرة جك والاسكندرونة وهى غير نصيبين التى بالجزيرة ، ويسميها الافرنج والترك نزيب (المعرب)

(١) بولتس فى كتابه السالف الذكر ص ٦٣

(١) المصدر عينه ص ٥٨

(٢) المصدر عينه ص ٦٣

يكن من رجال الدبلوماسية الرسميين ، ولا من رجال البحرية ، بل كان تاجرا استوطن الإسكندرية قبل أن تستقل بلاد اليونان ، وكسب صداقة محمد على ، واحتفظ بهذه الصداقة . فلما أنشأت بلاد اليونان أول قنصلياتها فى القطر المصرى فى عام ١٨٣٣ ، عهدت بأمور القنصلية إليه . ولم يكن يرسل فى أول الأمر تقارير منتظمة إلى وزارة خارجيته ، كما أنه لم يبدأ الاشتغال بالمسائل السياسية إلا فى سنة ١٨٣٨ (١) . ولم يكتسب قط فى حياته ذلك الأسلوب الخاص الذى تكتب به المراسيم والوثائق السياسية ، بل كانت معانيه على الدوام واضحة كل الوضوح . ويمتاز ما كتبه توسزا بميزة أخرى غاية فى الأهمية ، وهى ناشئة من الصداقة الوثيقة التى كانت بينه وبين محمد على . وقد كتب هذا القنصل إلى وزارة خارجيته فى ٢٣ يوليه سنة ١٨٣٨ يقول :

« لقد أبلغ المستر كامبل وكيل إنجلترا السياسى الوالى بصفة رسمية أن بريطانيا العظمى تعارض أشد المعارضة فيما يطلبه من الاستقلال ، وتصر على أن يبقى كما هو ؛ وإلا فإن الدول الأربع: إنجلترا وفرنسا والروسيا والنمسا ستعمل مجتمعة لمنعه من نيل استقلاله ، ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة . وهذه الدول متفقة على ذلك ، وقد قررت أن تزيد قوة الأسطولين البريطانى والفرنسى فى البحر الأبيض المتوسط ، وأن ترسل الجنود النمساوية إلى بلاد الشام إذا استلزم الموقف ذلك . ويلوح أن سمو الوالى سيجيب بأنه إذا عجز عن نيل رغباته بالرضا والمسالمة ، فستلجئه الضرورة إلى أن يعمل لنيلها بوسائل أخرى ؛ ومهما كانت العاقبة فسيكون من أكبر دواعى الشرف له أن تهزمه الدول الأربع الكبرى »(٢)

وكتب توسزا رسالة أخرى فى ٦ سبتمبر سنة ١٨٣٨ يضم فيها بروسيا إلى جماعة الدول المتفقة . ولهذا الأمر أهميته ، لأننا عرفنا من قبل أن هلمث ڤون ملتكه كان وقتئذ مع الجيش العثمانى الذى كان يعمل بكل ما فى وسعه ليستثير غيظ إبراهيم . وليس يخفى علينا أن ملتكه كان فى ذلك الوقت رجلا لا خطر له ، ولا يكاد يعرفه أحد ؛ ولكن انضمام النمسا والروسيا وبروسيا كان مقدمة لحلف القياصرة الثلاثة الذى تم فيما بعد ، ومضاعفاً للخطر الذى كان يتعرض له جيش إبراهيم . وقد أبلغ قناصل هـذه الدول

(١) المصدر عينه ص ٣ من المقدمة .

(٢) المصدر عينه ص ٤٠

الثلاث محمداً علياً أن دولهم لا تسمح بأن يطرأ على العلاقة القائمة بينه وبين الباب العالى تغيير ما ، وأنه إذا أقدم على عمل أياً كان نوعه فستنضم هذه الدول إلى تركيا لقتاله والتغلب عليه ؛ فأجابهم الباشا عن ذلك بقوله :

« إننى لا أرغب فى الحرب ، ولن أقدم على عمل عدائى ، ولكننى راغب فى الاستقلال ، ولن أتخلى عن هذه الغاية »(١)

على أن هذا التحذير كان له أثره فى نفس محمد على ؛ ورأى أن خير وسيلة لتجنب هذه الأحاديث البغيضة المنذرة بأسوإ العواقب ، أن يرحل إلى الجنوب . وكانت الإشاعات متواترة بأن مناجم من الذهب صالحة للاستغلال قد كشفت فى السودان . ورأى الباشا من مصلحته أن يتحقق من هـذه الأنباء الهامة بنفسه ، حتى إذا ما اضطر إبراهيم إلى الزحف على الأتراك ، حلت بهذا الكشف مشكلة من أهم المشاكل . وزيادة على ذلك فإن غيابه يهيىء الظروف للمسألة التركية كلها أن تستقر على قرار ثابت مكين . لكن هذا الغياب المؤقت لم يكن ليفت فى عضد الزمرة الدبلوماسية المتحدة التى ظلت تعارض محمداً علياً بعد رجوعه فى ١٥ مارس سنة ١٨٣٩

ولا شك فى أن إبراهيم كان يعرف كل هذه الحقائق ويعرف أيضاً كيف يتعظ بعبرها ؛ لأن أباه كان دائم الاتصال به لا يقطع عنه أخباره ؛ وكانت معرفته بها وتقديره خطر الموقف الذى كان يواجهه سبباً فى أنه لم يحرك ساكناً حينما استثار الأتراك غيظه ؛ وذلك لأنه أيقن أن الأتراك يلقون معونة أوربا السياسية ؛ وعرف الباب العالى ذلك فوقف من المصريين هذا الموقف المغضب . وكان ڤون ملتكه وڤون ملباخ Von Mulbach وغيرهما من الضباط البروسيين لا يفتأون يحرضون قواد الترك العسكريين ، ويستعينون بما طبع عليه الألمان من اعتداد بالنفس ومغالاة فى الاطمئنان إلى مقدرتهم ، فيغرون حافظاً باشا بالاستمرار على مناوأة إبراهيم .

وصادف تحريض الضباط البروسيين هوى فى نفس القائد التركى العام ، فلم يشك قط فى الظفر بأعدائه ، لأن له جيشاً جراراً ، وإدارة للمخابرات دقيقة النظام ، وهيئة طيبة من الضباط نواتها مساعدوه الألمان .

(١) المصدر عينه ص ٤٤

وشجعه على الاعتداد بنفسه أن إبراهيم لم يقابل هجومه في ٢٣ إبريل بهجوم مثله . ولما سقطت عينتاب في يده زاد اطمئنانه ، ولم يساوره قلق ما حتى جيء إليه بأحد الأسرى الذين وقعوا في يد الأتراك عند استيلائهم على قرية تل باشر . وهذا الأسير هو فرجاني شيخ عرب المنادى . وكان رجلا سواه الله وعدله ووهبه من الكبرياء بقدر ما وهبه من قوة الجسم . وأخذ القائد العام يسأل أسيره ، لعله يعرف منه مايفيده في موقفه ، لكن الرجل كان عنيداً لا يلين فأجابه بقوله : « عن أى شيء تسألنى ؟ دونك رأسى فليس ينجيه منك لسانى ، بل ربما أوقعنى في الهلاك وكان منطقى سبباً في إراقة دمي » . فأجابه حافظ بقوله : « لن أمس شعرة من لحيتك إذا صدقتنى القول » . فقال له الأسير : « أقسمْ بالقرآن أنى سأبرح هذا المكان حياً سليماً من الأذى ، أخبرْك بما تريد »

فلما أقسم ضحك فرجانى ملء شدقيه وقال :

« أريد أن أخبرك بالحق وأطلعك على رأيى في معسكرك ومعسكر إبراهيم ؟ أتريد أن تعرف ما سيقع في المستقبل ؟ ألا هل يستطيع أحد أن يتنبأ بما في عالم الغيب ؟ لكنك إذ أصررت على معرفة الحقيقة فانى مبلغك إياها : إن معسكر إبراهيم معسكر جنود ، أما معسكركم فمعسكر حجاج » .

فقال له القائد التركي غاضباً : « وما ذا تقصد بهذا القول ؟ »

فرد عليه بقوله : « رأيت في معسكر إبراهيم أكداساً من الأسلحة وإلى جوارها كتائب من الجند المشاة مدججين بالسلاح ؛ ورأيت المدافع وإلى جانبها رجال المدفعية ؛ ورأيت الاصطبلات وبقربها الفرسان ؛ ورأيت كل إنسان في موضعه متأهباً لأداء واجبه ؛ ولم أر شيئاً من ذلك في معسكركم ، بل رأيت فيه يهوداً وتجاراً وأئمة ؛ رأيت فيه رجالا يقرضون المال ، ورجالا يبيعون ، وآخرين يصلون ، ولذلك قلت : إن معسكركم أشبه شيء بمعسكر الحجاج . وتسألنى لمن سيكون النصر ؟ فأقول إن هذا ما لا أعرفه ، لأن علمه عند الله ، وستعلمن نبأه بعد حين » (١)

إن للأتراك أغلاطاً ولكنهم قوم كرام . ومع أن حافظاً قد تألم وكاد يصعق مما قاله العربى الصريح ، فقد فك أسره وخلي سبيله ، وقبل أن يعود إليه صوابه جاءه رسول ومعه خطاب من إبراهيم ؛ ولم يكن هذا الرسول يحمل راية الهدنة لأن الحرب لم تكن أعلنت رسمياً بين الدولتين . وكان تاريخ الخطاب ٨ يونيه سنة ١٨٣٩ وقد جاء فيه :

« إن التعليمات التى أرسلتها الدول العظمى إلى قناصلها المقيمين في الاسكندرية قد أقنعتنى بأنهن غير راضيات عن الحرب ؛ وإنى لأعرف أيضاً أن سمو مولاى المعظم غير راض عنها ، ولكن على الرغم من هذا .

(١) فان سليمان باشا المرعشلى أرسل فصيلة من جنوده هاجمت جيوشنا في بولانق .

(٢) وأرسلتم فرقة إلى باياس (١) لتحريض أهلها على الانتقاض علينا

(٣) وبعثتم بالحاج عمر أوغلو إلى كرد داغ (٢) للغرض نفسه .

(٤) وغزوتم أرضنا وهاجمتم عرب المنادى التابعين لنا .

(٥) ووزعتم الأسلحة على أهل ولاية عينتاب ، ودخل سليمان باشا المرعشلى هذه المدينة ولا يزال باقياً فيها إلى الآن . وبالأمس هاجمت قوة من الفرسان تحت قيادة سعادتكم صفوفنا وأمرتم مدفعيتكم أن تصوب نيرانها على فرساننا المنادى في مخافرنا الأمامية » .

وبعد أن ذكر إبراهيم هذه الأسباب قال :

« ولقد صبرت إلى الآن على هذا كله ولم أقابله بمثله ، لأننى كنت أحاول أن أقنع نفسى بأن هذه الأعمال العدائية تغضب السلطان مولانا المعظم . فاذا كنتم سعادتكم تعزون سكوتى عنها إلى الخوف فانكم مخطئون في ظنكم ، إذ ليس لسكوتى الا سبب واحد هو حرصى على احترام رغبات سمو والدى وسيدى المعظم . وإذا كنتم سعادتكم قد تلقيتم الأمر باستئناف القتال ، فما بالكم تنهجون هذا النهج وتدسون الدسائس . هلموا إلى ميدان القتال ولكن هلموا إليه بصراحة ، وخوضوا غمرات الحرب كما يجب أن تخاض . وإلا إخالكم قد نسيتم ماحدث منذ بضع سنين ، وستلقون رجالاً لايعرف الخوف طريقه إلى قلوبهم ؛ أما الدسائس فاننا لانطيق احتمالها إلى الأبد . فهل أحظى منكم بجواب صريح ؟ فان فعلتم فسينقل ردكم إلى إذا رغبتم حامل هذا الخطاب الأمير ألاى محمود بك (٣) » .

(يتبع) محمد بدر الله

(١) كدلفين وبرو في كتابهما السالف الذكر جزء ١ ص ١٨٨ .

(١) ميناء صغير في خليج الأسكندرونة (المعرب)

(٢) جبل الأكراد (المعرب)

(٣) كدلفين وبرو (ج ١ ص ١٩٣)

مشروع تقسيم فلسطين وأخطاره

لباحث عربي كبير

جلس سكان فلسطين مساء يوم الأربعاء الواقع في ٧ يوليو، أمام الراديو منتظرين سماع تقرير اللجنة الملكية. وكان السكون مخيماً في معظم البيوت وفي المقاهي والأندية. وما كاد المذيع يفرغ من قراءة خلاصة التقرير واستنتاجات الحكومة المنتدبة حتى انتاب أهل البلاد ذهول دام بضعة أيام من شدة الصدمة.. وأراد فخامة المندوب السامي أن يتلطف بهم ويحالهم ويهون عليهم المصاب بدعوته أهل البلاد إلى إنعام النظر والتروي في إبداء الرأي، وأن يحكموا العقل على العاطفة في تقرير الحكم على مشروع اللجنة الملكية

اتبعنا هذه النصيحة وقرأنا بإمعان خلاصة التقرير، ثم أخذنا في قراءة التقرير نفسه. فما كان أشد دهشتنا عند ما رأينا اللجنة الملكية تخالف في تقريرها جميع تقارير اللجان البريطانية، والخبراء الانكليز، وكتب حكومة لندن البيضاء، ورأي عصبة الأمم، فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية، حتى أنها تخالف أيضاً صك الانتداب نفسه

تقول جميع هذه المستندات بأن التزامات الحكومة المنتدبة نحو العرب واليهود متساوية، فقالت لجنة اللورد بيل خلاف ذلك، وأوصت حكومة جلالة الملك بتنفيذ التزاماتها نحو اليهود أولا ثم النظر في التزاماتها نحو العرب. أي أنها توصي بإنشاء الوطن القومي اليهودي، ثم بالنظر في المحافظة على حقوق العرب!.

وصرحت حكومة جلالته وعصبة الأمم مراراً بأن ليس الغاية من تصريح بلفور إيجاد دولة يهودية في فلسطين، فقال اللورد بيل في تقرير لجنته بأن المراد من تصريح بلفور وصك الانتداب إيجاد دولة يهودية في الأراضي المقدسة عند ما يصبحون أكثرية فيها

وينص صك الانتداب صراحة بأن واجب الحكومة ترقية الحكم الذاتي في فلسطين، فقالت اللجنة الملكية بأن إنشاء مجلس تشريعي يخالف لصك الانتداب!..

ولم تكتف اللجنة الملكية بهذا، بل تهكمت في تقريرها بالعرب وزعمائهم، ولم تر فيهم إلا مثالب، ولم تر في اليهود وأعمالهم إلا محامد؛ وجمعت في تقريرها جميع الآراء والأقوال اليهودية التي تزعم أن ليس للعرب حق في فلسطين، وأن الأراضي المقدسة حق لبني إسرائيل! فكان تقريرها هذا مجموعة أضاليل يهودية. حتى أنه لو قيل للدكتور وايزمن، زعيم الصهيونية، أن يكتب تقريراً عن القضية الفلسطينية ومطالب اليهود، لما جرؤ على كتابة مثل تقرير اللجنة الملكية!..

إن تقرير اللجنة الملكية خطة سياسية مرسومة، يراد منها أولا إزالة مفعول التقارير البريطانية السابقة التي جاءت كلها منذ الاحتلال حتى الأيام الأخيرة لصالح العرب مثنية عليهم، ومظهرة سوء السياسة الصهيونية وخطرها على أهل البلاد ووخيم عواقبها، وثانياً تحقيق إنشاء «المملكة اليهودية»

إننا لا نبالي بحكم اللورد بيل على العرب لأن حكمه فريد، وطبيعي أن هذا الحكم الشاذ لا يؤثر في رأي المنصف العادل على حكم التاريخ، ولا على الأحكام البريطانية العديدة السابقة، ولا يقلل من أهميتها ومفعولها

والذي يهمنا في هذا المقال هو إظهار أخطار مشروع تقسيم فلسين، و«المملكة اليهودية» التي تريد الحكومة البريطانية إيجادها في قسم فلسطين الطيب

تمويه التقسيم

قسم اللورد بيل فلسطين إلى ثلاثة أقسام، أعطى الأول إلى اليهود، واحتفظ بالثاني لدولته، وأبقى الثالث لأهل البلاد. أما قسم اليهود فيشمل جميع الفضاء الشمالي وسهل الحولة ومرج ابن عامر، والسهل الساحلي حتى ١٠ كيلومترات جنوبي رحبوت، وتبلغ مساحته حوالي ثمانية ملايين من الدونمات (الدونم ألف متر مربع)، وفيه من المدن العربية صفد وعكا وحيفا وطبرية والناصرة، ومن القرى عدد عظيم، حكم عليها أن تصبح يهودية، وقضى على سكانها العرب البالغ عددهم أربعمائة ألف عربي بأن يرحلوا من وطنهم العزيز. أما القسم الذي سيوضع تحت انتداب بريطاني جديد فيشمل القدس وبيت لحم وضواحيهما وجميع الأراضي التي تسير فيها طريق يافا ــ القدس، وسكة حديد يافا — القدس.. ويدخل في هذه المنطقة الرملة واللد وقرى عديدة كلها عربية. وعلاوة على هذه المنطقة فالحكومة المنتدبة تحتفظ لها بمنطقة لم تعين حدودها على ساحل خليج العقبة، وستكون هذه المنطقة جميع ما يدخل فلسطين من صحراء سيناء وقسم كبير من فضاء بئر السبع إن لم يكن كله لأسباب سياسية

واعتاد الانكليز واليهود القول بأن ما بقي من فلسطين خاص

بالعرب ليوهموا العرب بأن ما يبقى لهم قسم مهم عظيم. والواقع أن ما يبقى لهم من وطنهم حسب مشروع التقسيم، جبال نابلس وجبال الخليل والقسم الجنوبي من القسم الساحلي، وهذا القسم من السهل قاحل على أكثر السنين لعدم انتظام سقوط الأمطار فيه. وبعبارة أخرى إن ما يريد اليهود والانكليز ابقاءه عربياً (مؤقتاً) جبال جرداء وصحراء محرقة. وهم يريدون إلحاق هذا القسم بشرق الأردن الفقير وتأسيس مملكة عربية منهما

أطلق على مشروع لجنة اللورد بيل مشروع تقسيم فلسطين، وكلمة تقسيم تخدع كثيرين من الذين لا ينظرون بعيداً أو الذين لا يعرفون طبيعة الأراضي فى فلسطين. أما الحقيقة فهي أن مشروع اللجنة الملكية يعطي فلسطين كلها لليهود، لأن اعتبار البلاد هو بما فيها من أراض صالحة للزراعة، لا بجبالها الجرداء ولا بصحاريها الجدباء. وإذا علمنا أن مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى فلسطين لا تزيد على ٦٫٥٤٤٫٠٠٠ دونم، حسب تقدير الخبير الكبير السير جون هون سمبسون، وإن هذه الأراضى الصالحة للزراعة مؤلفة من سهول فلسطين وهى: سهل عكا، وسهل الحولة، ومرج ابن عامر، والسهل الساحلى؛ وإذا علمنا أن جميع هذه السهول داخل ضمن القسم اليهودي، عدا جنوبى السهل الساحلى القاحل فى أكثر الأوقات، رأينا بجلاء أن جميع فلسطين الصالحة للزراعة وهى فلسطين الحقيقية والتى من خيراتها يعتاش جميع سكان البلاد، داخلة ضمن القسم اليهودي، وما بقى من فلسطين قاحل لا يعول من فيه من السكان

اجلاء لا تبادل أراضي وسكان

يريد اليهود ترحيل الشعب العربى من فلسطين ليكونوا فيها وحدهم ـ فحقق لهم اللورد بيل قسماً كبيراً من أمنيتهم، وذلك بقبوله هذا المبدأ، وإصراره على إرغام العرب الذين يعيشون فى «مشروع القسم اليهودى» من فلسطين، على الرحيل إلى القسم الآخر منها، أو إلى حيث يشاءون، فيما لو قبل مشروع تقسيم فلسطين. ووضع اللورد بيل اصراره فى عبارات كثيرة ما استعملها الدبلوماسى إلا لإخفاء الحقيقة والظهور بمظهر الشفيق العادل، فقال بأن «مصلحة الفريقين تقضى بأن يبذل أقصى ما يمكن من الجهد للوصول إلى اتفاق بشأن تبادل الأراضى والسكان».

ربما يخيل للقارىء من هذا القول أن هناك أقلية من العرب تملك أقلية من الأراضى فى (مشروع التقسيم اليهودى)، لا، إن هذا خطأ مبين، إذ أن كل ما تملكه اليهود من أراض فى فلسطين منذ ابتداء ـ حركتهم الصهيونية، مليون وربع من الدونمات، بينما مساحة القسم الذى تريد اللجنة الملكية إنشاء مملكة يهودية فيه تبلغ حوالى ثمانية ملايين دونم. فمن هذين الرقمين يظهر أن «المملكة اليهودية» ستنشأ على أراض لا يزال العرب يملكون فيها ستة أضعاف ما يملك اليهود، كما أن عدد سكان العرب فى هذه المنطقة لا يقل عن أربعمائة ألف، بينما عدد اليهود فيها لا يزيد على ثلاثمائة ألف.

وفى الواقع أن لجنة اللورد بيل تريد إخراج ما لا يقل عن أربعمائة ألف عربي من (مشروع القسم اليهودى) واستبدالهم باليهود القاطنين بما يسمونه (القسم العربى) البالغ عددهم ١٫٢٥٠ فقط، والذين لا يملكون فيه إلا بضع مئات من الدونمات. فاستعمال تعبير تبادل السكان فى هذه الحال غاية في الهزء والسخرية بالعرب. ليس الأمر أمر تبادل سكان، وإنما هو إجلاء العرب عن القسم الخصيب من بلادهم الذى منه يعتاشون والذى من دونه لا حياة لهم.

ويصحب جلاء العرب عن وطنهم استيلاء «الحكومة اليهودية» على أراضيهم، وهذا ما يريده اليهود. وما أوصت به اللجنة الملكية

أراد اللورد بيل مساعدة اليهود إلى أكبر حد، فقرر منع بيع الأراضى بيعاً حراً لتنزل أسعارها، وأعطى «الحكومة اليهودية» الحق فى تعيين ثمن أراضى العرب ليوفر عليها مبالغ طائلة؛ وعليه سيستولى اليهود على أراضى العرب مقابل أثمان زهيدة.. فالأفراد من العرب الذين لهم أراضى فى (المنطقة اليهوديه) ويمنون النفس بالثراء سوف لا ينالون الأسعار التى يمكن أن ينالوها فيها لو لم ينفذ مشروع تقسيم فلسطين.

الموت الاقتصادي

ربما يفكر البعض، متأثرين بما سمته اللجنة الملكية «فوائد التقسيم» وبالدعاية التى يقوم بها بعض موظفى الحكومة، فى أن لا فائدة من رفض التقسيم مادام اليهود واصلين إلى أكثر من النتيجة التى يوصلهم إليها تقرير اللورد بيل، ويقولون متسائلين: ألم يحدد تقسيم فلسطين الاطماع اليهودية؟ فاذن لماذا نرفضه؟

غريب هذا المنطق! لنفرض (وهذا ليس بصحيح) أن ليس في إمكان العرب صد تيار اليهود عن فلسطين، وليس في مقدورهم المحافظة عليها عربية، وأن سيأتى يوم يصبح فيه القسم المعطى لهم الآن يهودياً إن لم يكن فلسطين كلها، ولكن ذلك

لا يتحقق غدا ، ولا بد له على الأقل من خمسين سنة . وسيظل اليهود خلال هذه السنين في نضال عنيف ، وسيبذلون خلالها جهوداً عظيمة وأموالا طائلة ، حتى يصلوا إلى النتيجة التي يوصلهم إليها الآن مشروع التقسيم . فهل من الصواب إذن أن ننيلهم اليوم ما لعلهم ينالونه بعد مشقة وبعد جهاد يدوم نصف قرن ؟ أو ليس من الحكمة السياسية ، إن لم يكن من الواجب الوطنى ، أن نصبر ونناضل بالطرق المشروعة ، ونتخذ الوقت عوناً لعله يأتى لنا بما يفرج ؟ وما يدرينا أن تتغير الظروف الدولية فتكون لنا عوناً على المحافظة على عروبة فلسطين وعلى نيلنا حقوقنا فيها ؟ أما إن تأسست اليوم مملكة يهودية فى قسم من فلسطين فيكون الأمر قد انتهى ، ولا نعود بقادرين ، مهما أتت الظروف على إرجاع ما ذهب منا ، وما تقسيم فلسطين ، وتأسيس مملكة يهودية في قسمها الطيب إلا وسيلة يراد بها تسهيل استيلاء اليهود على جميع فلسطين وشرق الأردن دفعة واحدة .

* * *

إذا نظرنا نظرة اقتصادية إلى ما يريد اللورد بيل ابقاءه (مؤقتاً) للعرب من وطنهم وجدنا أن هذا القسم قاحل لا يعيش من فيه ، وخير دليل على ذلك نزوح ألوف من سكانه إلى السهل الساحلى حيث الخصب وحيث بساتين البرتقال منتشرة ، ثم إن ألوفاً عديدة من سكان هذه المنطقة مزارعون يعتاشون من أعمالهم فى الأراضى التى يملكونها فى السهول الداخلة في المنطقة اليهودية . ومثال ذلك جميع القرى الواقعة حتى على مسافات بعيدة من السهل الساحلى ومدن طولكرم والرملة واللد ويافا ، فان هذه القرى العديدة وهذه المدن الكبيرة تعتاش بما يعمل أهلها فى أراضيهم ومزارعهم الواقعة فى السهل الذي يريد مشروع التقسيم أن يستولي عليه اليهود ؛ فتى حرمت هذه القرى والمدن من أملاكها ، أصبح لا عمل لأهلها إلا مكافحة الجوع والشقاء (فكيف تصبح حالة سكان هذا القسم من فلسطين متى رحل إليه الأربعمائة ألف عربى سكان القرى والمدن التى سيستولى عليها اليهود إن قبل العرب التقسيم أو مكنوا الانكليز من تحقيقه ؟

حرمت مدينة يافا ، بموجب مشروع التقسيم من بساتين البرتقال التابعة لها والتي منها يعتاش سكانها ، فمعنى ذلك أن أهل هذه المدينة سوف لا يجدون لهم مرتزقاً يمكنهم من الاستقرار في مدينتهم . وسيأخذ اليهود الذين يحيطون بهم من كل ناحية فى مضايقتهم ، وستكون النتيجة حتما رحيل سكان يافا وتهويد المدينة ، ومصير اللد والرملة وهما فى منطقة الانتداب كمصير يافا ، لأن هاتين المدينتين حرمتا أكبر قسم من أراضيها ، وبغير هذا القسم من الأراضى لاحياة لسكانهما .

* * *

ستحل من غير شك (فى المنطقة العربية) بل فى (المملكة العربية) المنوى إقامتها فى بلاد فقيرة ، أزمة اقتصادية هائلة بل مجاعة شنيعة . وهذه الحالة ترغم الملاك فيها إلى بيع ما يملكون ، أو رهنه ، أو إيجاره على سنين عديدة ، وليس فى هذه البلاد من شار ولا مرتهن ، ولا من مستأجر ، غير اليهود . . . وهكذا يأخذ اليهود فى وضع أيديهم على (القسم العربى) ويلحقونه بمملكتهم ، فتصبح فلسطين برمتها فى مدة وجيزة مملكة يهودية خالية من أصحابها العرب . ربما يعترض على هذا الحكم من لا يعرف السياسة وتلاعبها بأن ليس لليهود الحق فى شراء الأراضى فى القسم العربي من فلسطين . هذا صحيح ، ولكن فى إمكان من يضع هذا القانون أن يضع غيره ، لاسيما وأنه غير قابل للتنفيذ ، والقانون وحده لا يستطيع الحيلولة دون وضع اليهود أيديهم على البلاد بمختلف الطرق مادامت موارد البلاد الاقتصادية لا تفى بحاجة السكان .

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل إن (المملكة العربية) الهزيلة سوف لا تعرف الاستقلال لأنها لا تقدر على حمل اعبائه الاقتصادية . والبلاد التي ليست مستقلة استقلالا اقتصادياً والتى تجاورها دولة غنية قوية طامعة فيها ، لا يمكنها المحافظة على استقلالها السياسى .. وستكون النتيجة التحاق الدولة العربية بالدولة اليهودية ، سواء طلب العرب ذلك بدافع العوامل الاقتصادية ، أم اضطروا إليه أمام حيل الدولة اليهودية ، فتنتشر الملايين من اليهود فى جميع أنحاء البلاد ، ويصبح العرب فيها أقلية فقيرة لا شان لهم يذكر ، إن لم يرغموا على الرحيل إلى صحراء الجزيرة .

فمشروع التقسيم لا يحدد فى الواقع المطامع الصهيونية ، وإنما هو وسيلة لتحقيقها بمدة وجيزة ، وهو حيلة يراد بها الوصول إلى تأسيس مملكة يهودية واسعة فى فلسطين كلها ، وفى شرق الأردن ذلك البلد العربى الذى لا يطبق عليه صك الانتداب ، ولا يسرى عليه تصريح بلفور ، وفى ذلك ما فيه من الأخطار الفادحة لجميع البلاد العربية

بيروت نقولا مشيعيرة

أقرت اللجنة الملكية أن الدولة العربية التى تريد إيجادها لا تستطيع الحياة حياة اقتصادية وحاولت تخفيف شدة الضربة على

العرب بالمال ، فرددت عبارة « إعانة مالية » مراراً ، كأن المال هو كل شيء في الحياة ، وكأنه أعز من الأوطان والمقدسات. وقالت: « بما أن ذلك القسم من فلسطين الواقع في منطقة الدولة العربية لن يستفيد فيما بعد من قدرة المنطقة اليهودية على دفع الضرائب ، وبما أن مساحة منطقة الدولة اليهودية ستكون أوسع من مساحة المنطقة الحالية التي تضم أراضي اليهود ومستعمراتهم (بما لا يقل عن ست مرات) فينبغي أن تدفع الدولة اليهودية إعانة مالية للدولة العربية »

مما لاريب فيه أن شعب الدولة العربية المنوى إنشاؤها سوف لايقدر على دفع ضرائب تسد الأكلاف الضرورية لسير أعمال الدولة كما هي حال شرق الأردن الآن ، فان حكومة هذا الشرق تتقاضى إعانة سنوية من الحكومة البريطانية تمكنها من استمرار وجودها . ولتمكين حكومة (الدولة العربية) من الحياة يريد اللورد بيل أن تدفع الدولة اليهودية للدولة العربية إعانة مالية . أي أن حياة المملكة العربية تتوقف على ما تجود به عليها الدولة اليهودية . . .

إن في إمكان الدولة اليهودية أن ترفض دفع هذه الاعانة المادية بعد أن تكون قد نالت ما تبتغي . فمن يضمن دفع هذه الاعانة ؟ أهي الحكومة البريطانية ؟ لقد رأينا قيمة ضمانات هذه الحكومة ولا سيا تجاه العرب . لاينبغي إن تبهر هذه الاعانة من يوطنون النفس على الاستفادة منها . إن اليهود لن يدفعوها إذا وجدوا مصلحتهم تقضى بذلك . وسيجدون ألف عذر ليتملصوا من دفعها . لقد تعهدت ألمانيا بدفع تعويضات لفرنسا ولغيرها من الدول ولم يمض على تعهدها عامان حتى أخذت في تأجيل الدفع ثم التنصل منه نهائيا ، ولم تستطع فرنسا القوية على إرغامها ، فهل في مقدور الحكومة العربية الضعيفة إرغام اليهود على دفع هذه الإعانة ؟

ولنفرض أن اليهود سيدفعون هذه الإعانة عن طيب خاطر فان هذه الإعانة ضرب من استعمار اليهود للدولة العربية الفقيرة ، ووسيلة إلى تدخل اليهود في سياستها وفي جميع أمورها.

هناك قاعدة اقتصادية سياسية بسيطة تقول بأن الذي في يده ميزانية الدولة في يده مصيرها . فلما كانت خزينة الدولة في العهد السابق في يد الملوك ، كانت السلطة المطلقة في يدهم أيضاً ، ولما انتقل حق فرض الضرائب من الملوك إلى البرلمانات ، انتقلت السيادة معها . فأصبحت البرلمانات مصدر السلطات . ونرى في هذه الأيام ، في البلاد الديموقراطية ، أن نفوذ وزير المالية آخذ في الازدياد حتى أنه أصبح يتدخل في دوائر زملائه ويشرف عليها نوعا ما ، لماذا ؟ لأن في يده توزيع ميزانية الحكومة على دوائر الوزراء . فالاعانة المالية اليهودية ستمكن الدولة اليهودية من الحصول على امتيازات خاصة في الدولة العربية ، ومن مراقبة ماليتها وسياستها . . . أي أن الدولة العربية ستكون طوعا أو كرها المستعمرة الأولى للدولة اليهودية ، وسوف لايمر على ذلك مدة طويلة حتى تدمج الدولتان ، ويتألف منهما دولة يهودية كبرى تهدد ما جاورها من البلاد العربية . . .

ورأت الحكومة البريطانية تحقيقاً للتقسيم صرفا لشرق الأردن عن المطالبة بحقوق العرب بأن تمده بثلاثة أمور : الحاق القسم الباقي من فلسطين به ، وتأسيس مملكة عربية (مستقلة) منهما ، وإعطاء مليونين من الجنيهات لحكومة شرق الأردن بدل المنحة التي تدفعها سنويا لسد عجز ميزانيته . . .

(البقية في العدد القادم)

اقتصادي

الفلسفة الشرقيـــة

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ١٤ —

البـــوذية

نشأة الديانة والفلسفة البوذيتين

ذاعت في بلاد الهند قبل البوذية بزمن طويل أسطورة دينية مؤداها أن إنقاذ الإنسانية من آلامها سيكون على يدى شاب نبيل حسن الخلق والخلق ، يولد بين أحضان النعمة ويشب بين أعطاف الترف والسعادة ، ثم يتخلى عن المادة ويزهد في الشهوات فيصل إلى المعرفة الكاملة التي بها ينقذ الانسانية من بين براثن الشر والألم . فلما ظهر بوذا وكان قد نشأ على النحو الملائم لبطل الأسطورة المتقدمة آمن الناس بأنه هو المنقذ المنتظر ، وكان هو شخصياً يعرف هذه الأسطورة فآمن بأنه بطلها المنشود ، فأعلن أنه لا شيء أنجع للوصول إلى النجاة من وسيلتين : أولاهما التخلى عن المادة ، وثانيتهما المعرفة . ثم بدأ جهاده بتحقيق هاتين

الوسيلتين فى نفسه ، فتخلى عن اللذائذ تخلياً عملياً ، ثم لم يلبث أن أعلن أنه وصل إلى نهاية المعرفة كما أسلفنا

نشأت عن المبدأ الأول من هذين المبدأين الديانة البوذية التى هى وليدة الزهد والتقشف قبل كل شيء ، وعن المبدأ الثانى وهو المعرفة نشأت الفلسفة البوذية . وسنحاول هنا أن نلم فى شيء من الايجاز بالديانة البوذية وأركانها وتطوراتها ثم بالفلسفة البوذية وعناصرها الأولية

الديانة البوذية

لم يشأ بوذا فى أول أمره أن يقحم فى مذهبه أى شيء له علاقة بما بعد الطبيعة ، بل لم يتحدث عن الإله على أصح الأقوال ، وإن كان بعض مؤرخى الفلسفة قد رووا عنه أنه تعرض للألوهية بالانكار وصرح بأن ليس هناك إله على النحو الذى يصورونه به ، وإنما هناك روح عام متغلغل فى كل شيء . ويروى البعض الآخر أن بين أقدم النصوص البوذية نصاً ينكر الألوهية أصرح الانكار ، إذ هو يتساءل قائلا : « ما هو الآله ؟ هل هو نفس العناصر ؟ إذا كان ذلك فلا يكون فى الأمر جديد سوى وضع اسم مكان آخر

وإذا كان غيرها ، ولها هى هذه الخواص التى نشاهدها ، فقد ثبت خلوه هو من بعض الخواص الثابتة للعناصر ، وهو نقص فيه . وإذا كان له كل خواصها فلم يكن في حاجة إليها ، لاتخاذها وسيلة لايجاد العالم . وإذاً فنحن أمام خلاء من الألوهية يؤيده المنطق »

وأنا شخصياً أستبعد هذا الالحاد على ذلك المتنسك النورانى والمصلح الأخلاقي العظيم ، ولعل هذا النص قد دُسّ عليه فى العصر الذى تلا عصره

وكان أهم ما رمى إليه هو تخليص الانسانية من آلامها المتوالية التى يجددها التناسخ بقدر ما يعدده من وحدات العودة إلى الحياة التى هى فى كل مرة مليئة بالألم والشقاء . وقد اعتبر بوذا — كما أسلفنا — الجهل والشهوة الأساسين الجوهريين لهذا الألم ، وأكد أنه لا خلاص للانسانية إلا بالمعرفة والتخلى عن المادة ، وهما وسيلتان متلازمتان أبداً ، إذ لا توجد المعرفة الصحيحة حيث يحل التهالك على المادة ، ولا تستقر الزهادة حيث يوجد الجهل

ولا ريب أن هذا الحط من شأن الحياة وما فيها من متع ولذائذ قد قسم البوذيين إلى قسمين : القسم الأول الدينيون ، والقسم الثانى الدنيون أو الأحرار ، ولكن ليس معنى هذا أن طائفة الدينيين من البوذيين كانت مكلفة بتأدية طقوس دينية خاصة . كلا ، فبوذا لم يكلف أتباعه بأى نوع من أنواع العبادة ، وإنما كل ما كان يمتاز به الديني على الدنى من البوذيين هو أن الأول كان أكثر تنسكا وأقل تعلقاً بالمادة من الثانى ، وهو لهذا كان نموذجا له فى حياته العملية ، لأنه أسرع منه خطى فى السير نحو الخلاص من شوائب المادة المدنسة

غير أنه لا ينبغى أن يفهم من هذا أن جميع أفراد الطائفة الدينية البوذية كانوا بعيدين عن جميع مظاهر الحياة ، لأن الواقع يخالف ذلك ، إذ كان أكثرهم مع تنسكهم يتصلون بالناس فى المعاملة وأحوال المعيشة ، لكن فى شيء من الاعتدال ، بل من الحذر والاحتياط . أما أقلهم فكانوا رهابنة يعيشون فى عزلة من الناس لا ينشغلون إلا بالتأمل فى أسرار الكون والنظر فى عظمة الوجود

كان الملك محرماً على البوذيين الدينيين كافة حتى الذين يتعاملون منهم مع الناس ، وكان الواجب على كل فرد منهم أن يتسول طعامه يوماً فيوما وألاّ يدخر شيئاً مهما قل إلى غده

أحس الدنيون من البوذيين فى داخل أنفسهم بشيء من القلق المضنى ، فأيقنوا بأنهم لم يصلوا بعد إلى الهدوء النفسانى المنشود الذى به وحده تتحقق السعادة ، وبحثوا عن سبب ذلك فعلموا أنه التعلق بالمادة والتخلف عن الطريق القويم الذى سار فيه إخوانهم الدينيون ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يطبقوا على أنفسهم تلك المناهج الضيقة ولا أن يذعنوا لهاتيك القواعد التى كانت قد بدأت تقسو وتتشدد فى جميع أساليب الحياة ، فحظرت على البوذى أكل اللحوم والأسماك ، وقيدته بأنواع محددة من الأطعمة والأشربة والثياب ، ورسمت له الخطة التى يجب عليه أن يسلكها ، فاكتفى أولئك الأحرار من البوذيين بالايمان النظرى ببوذا وباتباع الأخلاق البوذية السامية من : صدق وأمانة وحلم وحياء ووداعة وإيثار وتضحية وغير ذلك من جلائل الصفات ، وجعلوا بيوتهم مآوي لاخوانهم الدينيين ؛ أما مشكلة عدم وصولهم إلى السعادة النفسية ، فقد وجدوا لها حلا طريفاً ، وهو أن من آمن ببوذا وتخلق بأخلاقه وآوى رجال دينه وأكرم مثواهم وعاش عيشة مدنية ، فان روحه بعد موته تتقمص بوذ يادينيا ، لتصل عن طريقه إلى الخلاص من المادة الذى يضمن لها السعادة والنجاة

مستحدثات البوذية :

أتت الديانة البوذية بمحدثات لم يكن للبراهمة بها عهد من قبل مثل نبع الوحي من داخل النفس بدل أن كان البراهمة يسندونه إلى الآلهة . ويعلق العلماء الأوربيون على هذا المبدأ بما يفيد عظمة بوذا وسموه على جميع سكان الهند وثقته بنفسه إلى الحد الذي لم يؤلف عند الشرقيين الذين وصلت ضآلتهم أمام أنفسهم إلى حد إسناد كل شيء إلى السماء ، تلك الضآلة التي كادت تمحو منتجاتهم العقلية الخاصة من صحائف مجهودات الفكر البشري . وسنرد على هذه الحملة الجائرة حين نعرض للوحي والالهام عند الكلام على الاشراقية إن شاء الله .

ومن الميزات التي اختصت بها البوذية إعلانها أن مهمتها نجاة العالم وإنقاذه من الألم والشقاء ، وفي هذا الغيرية مالم يخطر للبراهمة الأنانيين على بال ، وبهذه النقطة يقترب بوذا من المسيح في نظر العلماء الذين يصدقون حادثة الصلب ويتخذون منها برهاناً على غيرية المسيح وتضحية نفسه في سبيل إنقاذ البشر من الخطايا والآثام .

ومن هذه المستحدثات البوذية إلغاء نظام الطبقات الذي مر بك مفصلا في البراهمية « الأرثوذكسية » ثم أقره عهد التطور حتى جاء بوذا فحزمه على جميع معتنقي ديانته ، وإن كان الأستاذ « دينيس سورا » يري أن بوذا لم يلغ نظام الطبقات ، وإنما كانت المقاطعة التي نشر فيها ديانته خالية قبل وجوده من نظام الطبقات لأن من المسلم به أن البراهمة لم ينشروا ديانتهم في جميع بقاع الهند ، ولكن هذا الرأي غير صحيح ، لأن بعض النصوص البوذية روت لنا أن بوذا كان كثيراً مايتلاقي مع بعض البراهمة يتيهون في البراري والقفار فلا يكترث بهم ولا يلتفت إليهم .

ومهما يكن من الأمر ، فقد محا بوذا كل تلك الفروق التي كانت البراهمية قد وضعتها بين طبقات الشعب بزعمها أن الكهنة خلقوا من رأس براهما ، والجند من ذراعيه ومنكبيه ، وأرباب الحرف من ساقيه ، والأرقاء من قدميه ، فلما جاء هذا المصلح العظيم أعلن أن جميع بني البشر سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالزهادة والمعرفة .

الأخلاق البوذية

بدأ بوذا منذ فجر اليوم الأول لتبشيره بديانته يعلم تلاميذه الفضائل التي رأى أنها وسائل الخلاص والنجاة ، ولكنه شاء أن يعلمهم هذه الفضائل عن طريق إنبائهم بأضدادها ، فأعلن أن الرذائل الواجبة التجنب عشر ، وهي : الشهوة والمقت ، والعمى والجهل ، والادعاء والرأي ، والشك والاهمال ، والخلاعة والوقاحة .

كانت هذه الرذائل في أول الأمر تذكر في تعاليم بوذا على النحو المتقدم ، دون ترتيب ولا تخصيص ، أما بعد ذلك فقد قسمت إلى فصائل اختصت كل ناحية من الانسان بفصيلة معينة منها بعد تطورها وتحديدها في مجموعتها . وهاك هذا التقسيم : إن الرذائل التي تهوى بالانسان عشر ، وإن نواحيه التي تأتي هذه الرذائل ثلاث اختصت كل ناحية منها بعدد من تلك الرذائل ، فرذائل الجسم ثلاث ، وهي : التعذيب والسرقة والزنى ؛ ورذائل النطق أربع ، وهي الكذب والنميمة والسباب والطيش ؛ ورذائل التفكير ثلاث ، وهي : الطمع والخبث والتزييف .

لم تكن البوذية تسوى بين هذه الرذائل ، بل جعلتها متفاوتة في مراتب الاثم كما هي متفاوتة في سرعة الانمحاء عن مرتكبها ، ولكنها صرحت بأن الندم هو من أهم وسائل الخلاص منها

على أن الفضائل المضادة لهذه الرذائل المتقدمة ليست في مجموعها من النوع العالي في رأى البوذية ، وإنما هي فضائل سلبية لأن من تعفف عن السرقة مثلا لم يزد على أنه هجر رذيلة من شأنه أن يهجرها ، وهو لهذا لا يسمو إلى درجة من يستعمل فضيلة الزهادة أو التضحية ، أو ما شاكل ذلك .

وعندهم أن أهم تلك الفضائل الايجابية ما يأتي :

(ا) حب الحقيقة . (ب) الرأفة (ج) الطهر

(د) الاحسان . (هـ) مداومة التقوى

(و) احتمال كل المؤلمات والمقززات . وغير ذلك مما يصادفه القارىء من أمثلة عالية في كل صفحة من صفحات السيرة البوذية الفاتنة .

« يتبع »

محمد غلاب



رفائيـــــل
الفنان أبداً
RAFFAELLO SANTI

للدكتور أحمد موسى

عرفنا من المقالات السابقة أن عصر الرفعة قد امتاز بعدد عظيم ممن توافرت فيهم الكفايات التي إذا قورنت بغيرها آمنا باطلاق بعض المؤرخين على هذه المرحلة الزمنية « عصر النهضة »

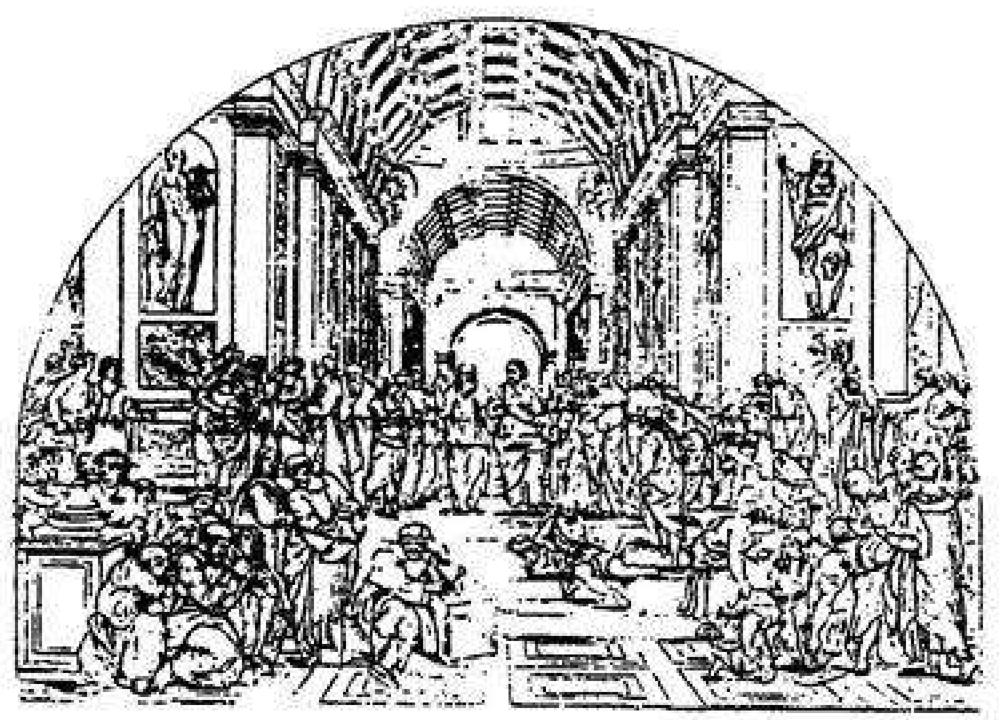
وعرفنا بعض الشيء عن ليوناردو داڤينشي ، وتناولنا بالبحث ميكيلانجلو الذى اعتبرناه عبقرية ملهمة فى عالم الفن ، كما فحصنا اتجاهه ونواحى إنتاجه ، ووصلنا إلى أنه كان أعظم فنان ظهر رغم ما بذله حاسدوه من مجهود لتدبير المكائد له حتى يقضوا على صيته وسمعته

واليوم نعالج شخصية أخرى على النقيض ، غمرتها محبة الناس واستأثرت باكبارهم وتدليلهم إلى حد بعيد . ومن تكون هذه الشخصية غير « رفايللو سانتى » الذي كان على أكبر جانب من جمال الطلعة وسمو النفس ودقة الشعور ورقة الشمائل ؟

ولد رفايللو يوم ٢٨ مارس (؟) سنة ١٤٨٣ فى أوربينو ، وتلقى أول دروسه على والده المصور جيوڤانى سانتى الذي مات عندما بلغ الابن الثانية عشرة من عمره ، ثم على معلم آخر ربما كان تيموتيوڤيتى الذي عاش فى أوربينو فى ذلك الحين أيضاً ، والذي كان صديقاً حميا له فيما بعد

ولم يترك رفايللو مدينة أبيه إلا سنة ١٤٩٩ عندما أراد الالتحاق بالعمل عند المصور المشهور بيروجينو فى مدينة بيروجيا وإذا رجعنا إلى مصوراته كلها نرى أن بينها واحدة أرخها سنة ١٥٠٤ وأسماها سبوساليزيو (Sposalizio) ، غير أن هذا لا يتخذ دليلا على أنه لم يقم بتصوير لوحات أخرى قبل هذا التاريخ ، إذ المعروف أنه اشتغل بالتصوير فى كنيسة بيروجيا وفى سيتا دي كاستيلا

وفى هذه السنة أيضاً (١٥٠٤) سافر إلى فلورنسا وأقام فيها بضع سنوات لم يتركها أثناءها إلا عندما كان يذهب فى بعض الآونة إلى بلدته أوربينو أو إلى بيروجيا حيث يقيم معلمه



مدرسة أثينا — صورة حائطية بالفاتيكان

وتأثر فى فلورنسا بتراث ليوناردو (راجع الرسالة) وبفن فرا بارتولوميو Fra Bartolommeo فدقته فى التصوير وعنايته المنهجية ترجع إلى ليوناردو ، على حين ترى السيمتري وجمال التناظر وإبداع التقسيم ورشاقة الحركة إلى بارتولوميو

وصور فى فلورنسا لوحة لأجل سان فاتشسكو فى بيروجيا تمثل دفن المسيح ، وهي القطعة التى لا تزال محفوظة بجاليرى بورجيزه فى روما

واستدعاه البابا يوليوس الثاني سنة ١٥٠٨ للتوجه إلى روما حيث زخرف وصور بعض غرف بالفاتيكان ، وهنا بدأ اسمه ينتشر ، وما كاد يسمل لدى البابوين يوليوس الثانى وليو العاشر إلا وكانت

الألسنة تلهج بذكره ، وعم صيته إيطاليا وغيرها من البلدان المجاورة

وكلفه فرانس الأول ملك فرنسا بأعمال فنية كما تهافت عليه كثيرون من الأكابر ، والتف حوله تلاميذ عديدون من المعجبين به والراغبين في فنه

ولم يكن مظهر رفايللو ليدل على أنه فنان ، بل كان أقرب إلى مظهر الأمراء منه إلى رجال الفن . فتكوينه الجسماني الرقيق وملابسه الرائعة الاختيار ، وشبابه الغض ، إلى جانب أدبه الجم وحديثه الخلاب ، كل هـذا جعل الناظر إليه أو المتحدث معه يظن أنه في حضرة أمير أرستوقراطي

وكأن المشيئة أرادت ألا يكون بين ميكيلانجلو وبين رفايللو أي تشابه أو انسجام ، حتى الاتجاه الفني عند كليهما كان مختلفاً ، فالموضوع الانشائي وطريقة الاخراج والتعبير تباينت عنـد كل منهما

وكان في الخمس السنوات الأخيرة من حياته الرئيس الأعلى لبناء كنيسة بطرس ، وتعمق في دراسة علم الآثار ومعرفة أسرار الفن القديم ، وفكر في رفع الانقاض والأتربة عن آثار روما القديمة عندما كان محافظاً للآثار فيها

وبلغ الذروة في سن مبكرة وفجأة أصيب بحمى انتهت بموته ، ولم يكن قد أكمل السابعة والثلاثين من عمره حين وافته المنية في ٦ إبريل سنة ١٥٢٠ ودفن في البانثيون بروما

يقول بعض المؤرخين بأن حزنه على خطيبته ماريابيينا التي ماتت قبله بقليل كان من أهم العوامل التي قربت منيته ؛ فلقد كان على رقة إحساسه ودقة تكوينه الجسماني عاشقاً مخلصاً ومحباً متفانياً . فضؤلت مقاومته للمرض

وسجل جمال خطيبته في كثير من مصوراته وعلى الخصوص في لوحاته التي مثلت المـادونا السكستينية ودونا فيلاتا ولا يزال بعض هذه الصور محفوظاً في أوفيست بفلورنسا .

وأقيم له تمثال تذكاري من البرنز في أوربينو بارتفاع أربعة أمتار تقريباً ، صنعه المثال الايطالي المعروف لوريجي بللي سـنة ١٨٩٧ ، كما نحت المثال الألمـاني هانل تمثالاً له لا يزال من النماذج الفذة لطراز النحت الألمـاني .

هذه قد تكون أبسط قصة تقال عن فنان لا نظير له ، عاش قليلا ولـكنه أنتج كثيراً ، وهو إلى جانب ميكيلانجلو لا يعدان فقط ثروة الفن الايطالي الحديث بل ثروة العالم أجمع .

ولم يشتغل رفايللو بالتصوير الجصي (الفرسكو) إلا بعد أن سافر إلى روما حيث قام بتصوير ثلاث غرف وردهة كبيرة في الڤاتيكان ، وفيها جمع بين التصوير الرمزي والديني .

وبعد أن كان البابا يوليوس الثاني عازماً على زخرفة الغرف بواسطة بعض المصورين المعاصرين أمثال بيروجينو وسودوما وغيرهما ، تراه قد تحول اتجاهه إلى روفايللو بعد أن شاهد تصوره وتفوقه على معلمه ، فكلفه القيام باكمال العمل إلى نهايته .

أما عمله في الغرفة الأولى (Stanza bella Satgneura) (١٥٠٨ — ١٥١١) فهو متجه في جوهره إلى الروح الفنية التي كانت لها الغلبة في ذلك الحين وهي روح من النهضة ، ويتلخص موضوعها في التعبير عن قوة القوى المسيطرة على العقل الانساني ، المهيمنة على مصير الانسان ؛ فيرى المشاهد أمام عينيه صوراً رائعة للتعبير عن اللاهوت (الدين) والفن (الشعر) والفكر (الفلسفة) والقانون (الفقه) ، صورها كلها على مساحات دائرية الشكل ، وإلى جانب كل منها التفاسير المرتبطة بموضوع الصورة كالخطيئة والعقوبة والدنيا وحكم سالوم .

أما الصور الـكبيرة في هذا المكان فقد جعلها تنطق بالحقائق التي ترمز إليها في عالمنا الدنيوي .

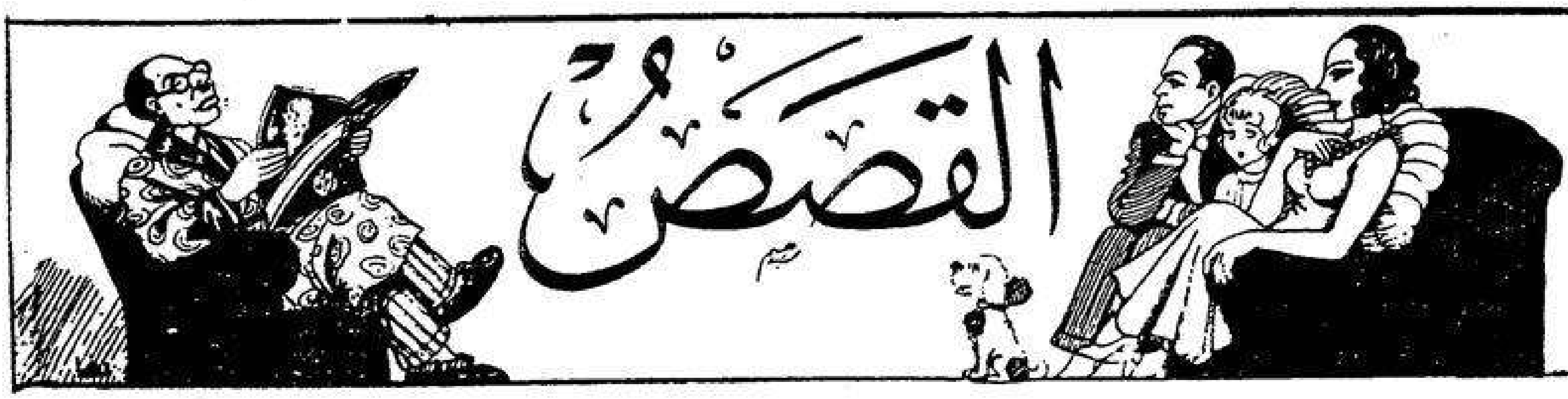
وفي المكان المسمى ديسپوتا (Disputa) صور المسيحيين الصالحين مجتمعين حول الهيكل وقد فتحت فوق رؤوسهم أبواب السماء (النعيم) . وفي پارناس (Parnass) صور الشعراء الأقدمين والمحدثين ملتفين حول أپولو وآلهات الشعر من حوله .

أما الفلسفة فقد صور مايعبر عنها بمدرسـة أثينا الجامعة (الـكارتون محفوظ بميلانو) وهي شاملة للمشتغلين بالعلوم العقلية أمثال أفلاطون وأرسطوطاليس وحولهم تلاميذهم ، واتخذ الفنان الركن الأيمن من الصورة لتصوير نفسه مع معلمه بيروجينو .

أما الدين فهو ممثل في صورته بالبابا والقيصر وهما يصرفان الأمور والشئون بموجب الـكتب السماوية .

« له بقية »

أحمد موسى



شقاء

للأستاذ اسماعيل مظهر

هذه صورة من صور الريف ، حملتها ذاكرتي منذ كنت شاباً في مقتبل العمر ، وقد انتهيت من مجهود عام دراسي شاق في زمان كنا ندرس أكثر المواد باللغة الانجليزية ؛ وما كدت أنتهي من تاريخ رومية واليونان والحساب والهندسة والجبر وأدب شكسبير ، حتى سارعت بالسفر إلى الريف أستجم بسكونه وسذاجته ، وأطلب في حقوله وهوائه وشمسه راحة القلب وسلوى النفس ورخاء البال ، وأسعد بالعمل في الحقول جهد استطاعتي لأشارك في عمل له نتاجه وثمره القريب . غير أني شعرت بعد قليل من الاستقرار في الريف أن الحياة قلما تهينا الراحة التي نطلبها أو تحقق بعض ماتتمنى من الوحدة والاتساق يشيعان في نواحي العقل والنفس ، ويعوضان على المرء بعض ماينفق في حياة المدن من إرهاق يأنسه في تنافر الصور في المرئيات والمعقولات . ذلك بأن قريتنا الصغيرة كانت قد احتلت بكائن غريب الأطوار من نسل آدم وحواء ، أجدر به أن يكون على نشوء الانسان من صورة دنيا ، المثل الأعلى والبرهان الصادق الملموس الظاهر للعيان

***

بمقربة من غدير يمر بجوار القرية ، شجرة من الصفصاف تتدلى فروعها الطويلة فتمس صفحة الماء الجاري ، حتى ليخيل إليك أن بين الماء وفروع تلك الشجرة صراعاً ؛ كأن الماء يحاول أن يقتلعها ويجرفها بتياره ، وكأن الشجرة تحاول أن تقاوم إرادته فتتشبث بالأرض . أما الغدير فيجري هادئاً مطمئناً بريئاً من فكرة العنف والفساد . وأما الشجرة فتظل بفروعها على صفحة الماء الهادىء ، كأنها نرجس في خرافات الأقدمين .

فلا جلاد إذن ولا عراك ، ولا تناحر ولا خصام ، في ذلك العالم الجميل الذي يضم الشجرة والغدير ، وما العاصفة والعراك إلا في خيالك وفي نظرك إذ يخدعك عن هذه الحقيقة ، كما يخدعك عن كثير من حقائق الحياة .

وبين أصل الشجرة وحافة الماء منسطح صغير من الأرض كسته الأعشاب البرية ، ونبتت فيه حشائش النجيل الجميلة وقليل من السعد ، تناثرت من فوقه بضع شجيرات من عشب البرنوف الأخضر الزاهي . وقد هجر فتيان القرية وعذاراها الحسان هذه البقعة الجميلة ، شأنهم في هجر كل جميل ، سعياً وراء العيش والضرب في مناكب الأرض ، لعنة الله على مناكبها .

تلك بقعة من الأرض أصح ما توصف به أنها ملك الطبيعة على قلة ما تملك الطبيعة من وادينا العظيم ، فلا محراث يسج بطنها ، ولا فأس تقلب طبقاتها ، ولا منجل يحصد ما نبت فيها ، بل ولا إنسان يحييها تحية الحب والجمال . فهي أحق بأن تدعى « الشقة الحرام » كما يسمون البقعة التي تكون بين جيشين متحاربين . No Man'sLanp

وكنت أمر على هذه البقعة المهجورة عجلان مسرع الخطو فأحييها تحية صامتة ، وأتمني لو أن مشاغل الزرع والانتاج ، والحرث والحصاد ، والري والصرف ، تمكنني أن أسعد بيوم واحد أقضيه في ظل هذه الصفصافة ، وفوق بساطها السندسي الجميل . وكانت هذه الأمنية تعاودني صبيحة كل يوم وأنا رائح إلى الحقل ، وفي كل أمسية وأنا غاد إلى داري . ولكن الأمل باق ما دامت هذه البقعة بكراً لم يغشها إنسان ولم يفكر مخلوق في أن يسعد بجمالها قبلي . ودرجت على ذلك الأيام . فالصفصافة واقفة مشرفة بهامة الجبار على مجرى الغدير ، وغدائرها الطويلة يمايلها النسيم على صفحة الماء ، وخيال العراك الدائم بين الشجرة والغدير قائم في وجداني ، وأمل المتعة بيوم أقضيه في ظل الشجرة المحبوبة متجدد كل يوم .

ولكن لا . فلا بد من يوم تتفشى فيه الآمال الحلوة الخلابة

سحائب من الكدر . فان مخلوقاً غريباً احتل البقعة الحرام ، واستظل بالصفصافة المقدسة . وقد خلع رداءه وجلس على حافة الغدير ينظر فى مائه المنساب الدافق كأنه يستوحيه الأسرار ، مثبتاً ناظريه فى نقطة واحدة كأنما جاذبية الأرض قد تجمعت فيها ، والماء ينساب متحدراً إلى غاياته ، والصفصافة قائمة بظلها الوارف ما يعنيها فى هذه الحياة من شىء ، استظل بها فيلسوف من طبقة أفلاطون ، أو أبله «ممسوخ» شوهت الطبيعة من خلقه كذلك الشبح الذى رأيته على ما وصفت صبيحة ذات يوم .

هو مخلوق هبط هذه البقعة من عالم سحرى عجيب ، ضئيل الجسم نحاسيُّ اللون صغير العينين أفطس الأنف دقيق الشفتين على غير قياس ، بارز الذقن إلى غاية غير مألوفة ، مكتنز الرأس طويل الوجه بارز الصدر مخسوف الظهر ، طويل الذراعين قصير الرجلين . وقد اندكت رقبته بين كتفيه ، فقصرت قامته على قصرها ، وغشيت نحاسية وجهه بقعة من السواد الفاحم أتلفت مساحة منه غير صغيرة ، ونبت فيها شعرات قصار ملس كأنها الحشائش الفطرية فى حرجة كثيفة حجبت الأشجار الباسقة عن أرضها ضوء الشمس . وهو فوق ذلك أجرد ، فلا شارب ولا لحية له ، غليظ اليدين والقدمين واسع الشدقين بارز الأسنان إذا مشى فهو الهرة إذ تتلبث ؛ وإذا نظر فكأنه يريد أن ينفذ ببصره إلى ما فى سريرتك . وما تنم حدة نظراته وجمودها ، إلا عن شدة ما قاسى من الزمن ومن الطبيعة ومن الناس .

صرت بهذا المخلوق محسوراً على أملى الذى سوف لا يتجدد بعد اليوم ، وعلى البقعة الحرام يستبيحها هذا القزم الأسود العجيب . فكنت أراه كل صباح ثم أخلفه من ورائى فى رواحى إلى الحقل وفى غدوتي إلى الدار وما رأيته يوماً بعيداً عن ظل الصفصافة أو غير ناظر إلى صفحة الغدير . وقد ألف المكان وألفه نظرى ، فكان يخيل إلى أن الصفصافة والغدير قد أصبحا له ، على حد قول هوجو ، بمثابة البيضة والعش والسكن والوطن والكون

ولقد هممت مرات عديدة بأن أسأل ما شأنه ، وما حاله ، وما الذى جعله يختار قريتنا دون القرى الأخرى . وكنت أقمع هذه الرغبة وأسلط إرادتي على حب الاستطلاع في نفسى . ولكنى هزمت ذات يوم فوقفت إزاءه وأطلت النظر فيه ، فأخذ يخالسنى النظر وحول عينيه نحوي وما تزالان تنظران فى الأرض وتتحركان حركة عصبية شديدة ، حتى ليخيل إليك أن هذا الانسان ما يظن فيك إلا أنك وحش مقدس يريد الانقضاض على الفريسة المسكينة الوادعة . ولم يكن فى هذا غير مصيب . فقد هممت أولاً أن أقرئه السلام ، ثم ترددت وقام فى نفسى أن أجره من أذنه الغليظ لأريه الطريق المسلم إلى القرية الأخرى . ولكن لم كل هذا التعب ؟ فهو جالس على حافة الغدير مستجمع كأنه النسر الأجرب العجوز وقدمي حاضرة . فركلة واحدة تسلم به إلى الغدير يتولاه برحمته الأبدية . ولأى شيء خلقت الرجل وفيها القدم ، ولأى شيء زودت بهذه العضلات القوية ، إن لم يكن لمثل هذا الظرف ولمثل هذا المخلوق الأشوه . فان الطبيعة ما أبدعت من شيء إلا وأبدعت معه طريقة التخلص منه . وقد قام فى نفسى أن الطبيعة لم تدربنا على العدو والقفز ، والركل واللكز ، والطفر والوكز ، فى طفولتنا إلا لتكون عدتنا لمثل هذه الساعة ، وفى مثل هذا الظرف ، ولمثل هذا القرد الأزعر العجيب

ولقد قويت فى نفسى هذه الشهوة وخيل إليّ أن الأمر سهل هين والطريق مقفر والحقول خاوية . وقد انحدرت الشمس فغابت فى عينها الحمئة السحيقة . وما أجّل لهذا المخلوق فى الحياة بعد هذا كله إلا استيقاظة نفسية ، سرعان ما تبخرت معها فكرة الثورة على النظام وعلى الطبيعة ، وتحركت شفتاى على غير إرادة منى وقرأته السلام

يالله ! ها هوذا قد نظر إليّ بكامل وجهه ، وعيناه تبعثان بصيصاً فيه الرعب والوجل والألم والقسوة والجمود . وأخذ يجاهد جهاد المستميت ليرد تحيتى بأحسن منها ، وأخذت الكلمات تخرج من شفتيه غير متماسكة الحروف ، فكان فيها مد وغن ، وقصر واستطالة ، وعوج واستقامة ، وإمالة وإشمام ، ومضت دقائق ما أعرف عددها قبل أن يتم رد السلام :

— وعليكم السلام ... ورحمة الله وبركاته ... إزاى حضرتك سلمات ... أهلا وسهلا ... يا مرحب

— اسم أخينا إيه ؟

— اسمي ...

— أيوه

— اسمى ... والله اسمى ... اسمي ... محمد

— بتعمل إيه

— أ ... نا

— أيوه أنت

— أنا ... بشتغل ... فى غيط ... عم حمدان ... اللي ... قصادك ده !

— وبلدك إيه ؟

— أ .. نا

— أيوه إنت

— بلدي.... بلدي ... بعيد من هنا ! بينا وبينها ... تلاته تعريفه تمام . واسمها ... اسمها ... الخرابة

ولقد صدق المسكين . فأية بقعة من بقاع هـذا العالم الواسع تقذف الانسانية المسواة فى أحسن تقويم بمثل هذا الشبح الممسوخ إلا بقعة خراب !

إذن فقط هبط علينا من الخرابة . وكيف يستوى أن يعيش فى العمران والمدنية ، من تلفظه الخرائب الموحشة الجرداء . وبلدة الخرابة قرية لا يدور اسمها على ألسنة موظفى الحكومة إلا قليلا فهي فى شمالى الدقهلية وفى أرض بور تبلغ مساحتها بضعة آلاف من الأفدنة كلها مرتفعات وأخاديد ، وقد تجمعت المياه فى بعض المنحدرات ونبتت فيها النِّسيلة والبَشْنين . أما المرتفعات فقـد تجمع من فوقها السبخ الأحمر الكريه وتوجها أدغال من الطرفاء ، وما إن تبعث على هذا الخراب الشامل بنظرة حتى يخيل إليك أن الله قد أنزل على هذه الأرض حسباناً من السماء فأصبحت صعيداً زلقاً

وعلى تبة من تباب هذه الأرض السبخة المالحة تقوم أكواخ قرية الخرابة ، وقد نبت عليها شوك العاقول الأخضر ، وتسلقتها حشائش العليق ، وامتدت الرطوبة إلى نصف ارتفاعها . وعقدت أسطح الحجرات باللبن النيء ، وفتحت فى أعلاها النوارز بارزة من أواسطها ، فيخيل إليك إذا نظرت فيها أنهن عجائز القرية المهجورات مسخن بكارثة ، وهن يتطلعن جميعاً إلى الشمال . فاذا جن الليل وأرسل القمر أشعته الفضية على هـذا الكون الميت العجيب ، شبه لك أن القرية قطيع من الفيلة السود ، تتساوق متزاحمة ، ولكن فى صمت كأنه صمت القبور

ومن حول هذه القرية تقوم بضعة شجيرات من السنط بهت لونها وامتقعت أوراقها ، وما يغشاها من طرق النهار إلا غربان تنعق ، وما يألفها فى الليل إلا البوم تنوح من حول القرية طيلة ساعات السواد ، نادبة حظ الأحياء والأموات ، مرسلة بأناتها الطويلة الشجية الحزينة ، ترثي الطبيعة المجرودة الغبراء

وعلى مسيرة بضع دقائق تقع جبانة القرية ، وقد انتثرت فيها القبور كأنها كثبان الرمل سفتها الرياح ، فتجاورت مزدحمة فى بقعة من الأرض ، والأرض من حولها فسيحة براح ، كأن طبيعة الانسان الاجتماعية قد أقسمت لتزحمنَّه فى القبور كما تزحمه فى الحياة . وقد ترى اللحد ومن فوقه ذلك الكثيب علاه السبخ الكثيب ، ومن حوله نبت الشوك وحوَّط القبر من جميع جهاته ، كأن الطبيعة قد أرادت أن تحدد تخوم كل قبر لتكفي الموتى مؤونة العراك على امتلاك القبور ، وهنالك تقع على جحر ذئب ، وهنا على نبيشة ثعلب ، وقدتنتبه على حركة طائر فى وحشة ذلك الصمت الأبدى ، فترى قطاة أزعجها مسيرك فى مدينة الأموات ، فتركت عشها من فوق قبر لتثقل به على صدر ميت كان بالأمس جباراً لا يرحم ، عنيداً لا يلين ، مشبوب الشهوات واسع الأمل مستثار الجنان

وإنك لتعجب كيف أن قزم الخرابة يترك تلك الجبانة التى نشأ بمقربة منها ، بل وفى حضنها الرهيب ، ليهبط قريتنا ، فلا نراه إلا ونذكر الخراب والغربان والبوم ، ولا نحييه إلا وفى مخيلتنا مجمل هذه الصور التى صورتها ، يحييها منظره ويدعوها إلى الوعى مجرد الذكرى ، بأن فى بلدتنا شخصاً من الخرابة . وتداعى الأفكار صفة نفسية ، ولكن لابد من باعث يحركها ويدعوها . فكان هذا سبباً في أن يبعد الناس عن طريق هذا الانسان لئلا تقوم فى مخيلتهم ذكريات الخرابة وذلك القفر المجدب الحزين والأكواخ تسلقتها الحشائش والأشواك والأشجار الميتة القائمة من حولها ، والغربان والبوم ، والجبانة والقبور ، فتنفشى الطبيعة المرحة الباسمة سلسلة من تلك الذكريات الباكية . فلا ريب إذن في أن الأقدار قد تناصرت على هذا المسخ المشؤوم . ولكن لم يقس عليه من الأقدار شيء بقدر ماقست عليه الطبيعة التى شوهت من خلقه ، و « الخرابة » التى نبذته وقذفت به إلي الوجود .

وقد يولد بعض الناس مثقلين بأوزار ، أو محكوماً عليهم بأن يعيشوا فى جفوة عما يحيط بهم من الأشياء ؛ فمنهم من تجنى عليه الطبيعة ، ومنهم من تجنى عليه الأسرة ، ومنهم من يجنى عليه الناس ، ومنهم من تجنى عليه البيئة ، وكثير منهم من يجنى على نفسه ، ومنهم من يخرج إلى الدنيا حاملاً وزر أبيه ، أو وزر أمه ، او وزريهما معاً . وهو بعد تلك الأداة الضعيفة ، وذلك المخلوق البائس . الذي لا اختيار له فيما اختارت له الأقدار ، ولا



الاحتفال بتولية جلالة الملك

أذاع مجلس الوزراء البرنامج الرسمي التالى للاحتفال بتولية صاحب الجلالة الملك وهو

الوصول الى الاسكندرية

١ – تصل الباخرة بمشيئة الله الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ الموافق ٢٥ يوليه سنة ١٩٣٧ فيصعد إليها عضوا مجلس الوصاية والأمراء والنبلاء الموجودون بالاسكندرية ، ورئيس مجلس الوزراء والوزراء وكبار رجال القصر ، ومحافظ الاسكندرية وقائد حاميتها المصرية ومدير الموانى ، ومدير البلدية ، ومدير خفر السواحل

٢ – ينزل المستقبلون ما عدا رئيس مجلس الوزراء لانتظار جلالة الملك على رصيف محطة الاسكندرية

٣ – يقل جلالة الملك لنش المحروسة لتشريف سراى رأس التين وبمعية جلالته رئيس مجلس الوزراء وكبار رجال القصر

٤ – يعود لنش المحروسة إلى الباخرة فيقل جلالة الملكة وحضرات صاحبات السمو الملكي الأميرات وبمعية جلالتها ناظر خاصة جلالة الملك

٥ – يقوم ركاب جلالتها وسموهن الملكي إلى محطة الاسكندرية قبل قيام ركاب جلالة الملك وبمعية جلالتها ناظر خاصة جلالة الملك

٦ – يتحرك ركاب جلالة الملك إلى محطة الاسكندرية فى الوقت المناسب لكى يقوم القطار الملكى الساعة ٩،٣٠ صباحاً

٧ – يكون فى مثول الاستقبال بالمحطة حضرات المستقبلين على ظهر الباخرة والمعتاد وجودهم عند تشريف جلالة الملك ثغر الاسكندرية سنوياً .

٨ – يقوم القطار الملكى إلى محطة سراى القبة رأساً ويقف فى المحطات المعتاد وقوفه فيها ويكون الاستقبال طبقاً لما يتبع عند

حيلة فى ما مضت به الكلمة المبرمة فى ألواح الأبد والأزل .

* * *

فى الإنسان طبيعة مشتركة ، من تفاسير الوجوه ماينم عنها ، ومن الذكريات وتداعى الأفكار ما يرسم على وجوه أبناء آدم تعابير واحدة . فكنت إذا ذكرت «محمداً» مساعد حمدان العربي وبلدته « الخرابة » ، ارتسم على الوجوه مايدل على ماقام فى النفوس من الاستيحاش والتشاؤم والبغض والاستفزاز .

وفى صبيحة ذات يوم ، أشبه بذلك اليوم الذي احتل فيه ذلك القزم سيف الغدر المحبوب ، اجتمع نفر من أهل القرية وقد ذر قرن ذكاء بأبهته السماوية ، ينظرون فى الماء ليتبينوا شيئاً يعلو ويهبط أمام قنطرة تحجز مياه الرى

تلك جثة « محمد الخرابة » ، فقد تولاه الغدير برحمته الأبدية ، أما أهل القرية فقد ظهرت على وجوههم تعابير الرحمة ممزوجة بالكثير من راحة البال والضمير . فلا الشوه يمازج ذكرياتهم ، ولا الخرابة بغربانها وبومها وأشجارها الميتة وقبورها الموحشة وسكونها الرهيب الأليم ، وليلها المربدّ الهادئ هدوء الموت ، يمر على مخيلاتهم أو يلابس وعيهم من بعد ذلك

* * *

ولكن . . . هنالك بمقربة من الجثة المسجاة ، جلست « فاطمة » ابنة حمدان ، بوجهها الصبوح وعينيها الواسعتين ، وبشرتها القمحية الجميلة وقوامها اللين المتعاطف ، جلست وحدها بغير شريك من فتيان القرية وفتياتها ، وهى أفتنهن جميعاً ، تخالس الجثة النظرات صامتة مبهوتة ، وترمق الجسد البارد بعينين حائرتين جامدتى النظرات ، وقد تقاطرت منهما دموع انحدرن كالجمان الكبار

اسماعيل مظهر

انتقال جلالته من الثغر إلى سراى القبة العامرة .

٩ — تعد دفاتر لقيد أسماء المهنئين فى قصرى رأس التين وعابدين .

حفلات مباشرة السلطة الدستورية

يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ — ٢٩ يوليه سنة ١٩٣٧ .

١ — يقوم الركاب الملكي من سراى عابدين العامرة الساعة ٨،٣٠ صباحا إلى دار البرلمان عن طريق ميدان عابدين فشارع الخديو اسماعيل فميدان الفلكي فشارع الخديو اسماعيل فشارع قصر العينى فشارع مجلس النواب .

٢ — تكون العودة إلى سراى عابدين العامرة من طريق شارع قصر العينى فشارع سليمان باشا فشارع فؤاد الأول فميدان ابراهيم باشا فشارع إبراهيم باشا إلى السراى العامرة .

٣ — عقب عودة جلالة الملك إلى السراي الملكية العامرة تجرى التشريفات العامة حسب الترتيب الذى سيعلن عنه وفى الوقت نفسه تقام حفلات استقبال فى المحافظات وعواصم المديريات للموظفين والأعيان الباقين بها .

٤ — بعد انتهاء التشريفات يقدم وزير الحربية باسم الجيش المصرى وبحضور كبار الضباط إلى حضرة صاحب الجلالة الملك عصا المشيرية هدية منهم لجلالته رمزاً لاخلاصهم وولائهم

٥ — تجرى تشريفات حضرة صاحبة الجلالة الملكة قبيل الظهر وبعده طبقاً لترتيب المقابلات الذى سينشر فيما بعد :

٦ — قبيل المساء يذيع جلالة الملك كلمة على شعبه فى الراديو

٧ — تقام مأدبة عشاء بالسراى وتعقبها حفلة ساهرة

***

يوم الجمعة ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ — ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٧

١ — يؤدى جلالة الملك فريضة الجمعة فى مسجد الرفاعى ، ثم يزور قبر المغفور له والده

٢ — تقام مأدبة غداء للعلماء فى قصر عابدين يحضرها رئيس مجلس الوزراء ووزير الأوقاف

٣ — فى الساعة الخامسة بعد الظهر تقام حفلة شاى بسراى عابدين العامرة

٤ — فى الساعة ٨،٣٠ مساء يشرف حضرة صاحب الجلالة الملك مأدبة العشاء التى يقيمها رئيس مجلس الوزراء بسراي الزعفران والحفلة الساهرة التى تليها

***

يوم السبت ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ — ٣١ يولية سنة ١٩٣٧

١ — فى الساعة ٨،٣٠ صباحاً يستعرض حضرة صاحب الجلالة الملك الجيش

٢ — فى الساعة الخامسة مساء تقام حفلة شاي بسراي عابدين العامرة يحضرها ضباط الجيش على اختلاف رتبهم وأسلحتهم ، وكذلك الضباط المتقاعدون من رتبة أميرالاى فما فوقها

رسائل عن مصر فى أواخر القرن الماضى

أصدر متحف بروكلين الأمريكي أخيراً كتاباً عنوانه « رحلات فى مصر » Travels in Egypt ، وذلك من ديسمبر سنة ١٨٨٠ إلى مايو سنة ١٨٩١ ، وهى عبارة عن رسائل بقلم تشارلس أدوين ولبور ، نشرها وعلق عليها العلامة الأثرى الأستاذ جان كابار . ولمؤلف هذه الرسائل المصرية قصة مؤثرة فقد كان من علماء الآثار الأمريكيين . ووفد على مصر فى أواخر القرن الماضى ، وقضى بين أطلالها ومعابدها القديمة نحو عشرة أعوام فى التنقيب والدرس ، ثم توفى فى سنة ١٨٩٦ . دون أن يتمكن من نشر شيء من مباحثه العديدة ، وترك مجموعة أثرية فخمة ومكتبة نفيسة عن الأثريات المصرية وهبهما أبناؤه إلى متحف بروكلين تخليداً لذكراه . وفى سنة ١٩٣٢ عثر الأستاذ كابار فى هذه المجموعة على رزم من رسائل مهملة ، وما كاد يتصفحها حتى أيقن بنفاستها وأهميتها من الوجهتين التاريخية والأثرية

ذلك أن تشارلس ولبور كاتب هذه الرسائل عاش فى مصر في فترة وصلت فيها المباحث الأثرية القديمة إلى ذروة الازدهار ؛ وكان بمصر يومئذ العلامة الفرنسى ماسبيرو يقوم بأعظم حفرياته ومباحثه ، وكذلك العلامة الألمانى هينريخ بروكش ، والمستشرق الانكليزى سايس ، وكان ماسبيرو يومئذ قد وفق إلى أعظم اكتشافاته وهو اكتشاف الموميات الملوكية فى الدير البحرى ؛ وكان مستر ولبور وثيق الصلات بأولئك العلماء الأعلام وبأعمالهم

ومباحثهم ، وكان أيضاً وثيق الصلات بالأهالى فى المناطق الجنوبية التي يجرى فيها الحفر ، وقد وفق فى حفرياته إلى اكتشاف بعض القطع الأثرية وأوراق البردى ، وهى تحفظ الآن فى المتحف البريطانى . فهذه الجهود والتطورات العلمية الهامة التي شهدتها مصر فى أواخر القرن الماضى يصفها مستر ولبور فى رسائله باسهاب ، ثم هو يصف خلالها حالة الريف المصرى والمجتمع المصرى يومئذ ؛ وهذه الرسائل التي وجهها إلى أسرته وإلى بعض أصدقائه هى التي يضمها المجلد الضخم الذى أصدره متحف بروكلين وقام على نشره الأستاذ كابار ، وهى رسائل لها قيمتها فى تاريخ مصر الأثرى والاجتماعى فى أواخر القرن الماضى .

جوجليلمو مركونى

فى يوم الثلاثاء الماضى نعت أنباء رومة العلامة المخترع الأشهر جوجليلمو مركونى ، الذى كان لاختراعاته فى المواصلات اللاسلكية أعظم أثر فى تطور الحياة البشرية فى عصرنا ؛ وكان مولد هذا العلامة الكبير فى مدينة بولونيا (بايطاليا) فى ٢٥ أبريل سنة ١٨٧٤ فى أسرة كريمة من أب إيطالى وأم ارلندية ، وتلقى مركونى تربية حسنة فى جامعة لجهورن ثم فى جامعة بولونيا ؛ وكان من أساتذته العلامة الرياضى الشهير روزا . وأبدى مركونى منذ حداثته عناية خاصة بكل ما يتعلق بالكهرباء ، وشغلته فكرة نقل التموجات الكهربائية عن طريق الهواء فأجرى فيها تجارب لم تشجعه عليها الحكومة الايطالية يومئذ ؛ فذهب إلى انكلترا واتصل بالسير وليم بريس كبير مهندسى التلغرافات يومئذ ، وأجرى تجاربه باشرافه ، ونجحت التجربة لأول مرة فوق خليج برستول. وفى سنة ١٨٩٩ تقدمت التجربة خطوة جديدة ، واستطاع مركونى أن ينظم المواصلات اللاسلكية بين فرنسا وانكلترا فوق القنال الانكليزى . وفى سنة ١٩٠١ استطاع أن ينظم المواصلة اللاسلكية فوق المحيط الاطلانطيقي بين كورنوال فى انكلترا وجزيرة نيوفوندلند فى أمريكا على مسافة ٢١٠٠ ميل ؛ وعلى أثر ذلك افتتحت المواصلة اللاسلكية بصفة رسمية بين أوربا وأمريكا ، وكلل اختراع مركونى بالنجاح الكامل ؛ وذاع الاختراع بسرعة ، واستعملته السفن التجارية منذ أوائل هذا القرن ، وكذلك نظم فى جميع الأساطيل الحربية ، وأضحى أداة سهلة سريعة للمواصلات البرقية ؛ وخصص مركونى حياته لتحسين اختراعه المدهش ؛ وأنشأ منذ سنة ١٩٠٠ شركة للمواصلات اللاسلكية سميت باسمه ولها اليوم فروع فى جميع أنحاء العالم . ولما دخلت إيطاليا فى الحرب الكبرى تولى مركونى الاشراف على المواصلات اللاسلكية الايطالية ؛ وفى نهاية الحرب انتدب عضواً فى الوفد الايطالى لدى مؤتمر الصلح ، وتولى عن إيطاليا توقيع معاهدات الصلح التي عقدت مع النمسا وبلغاريا ؛ ومنح مركونى من ألقاب الشرف العلمية والأوسمة الرفيعة ما يضيق المقام عن ذكره ؛ ومنح جائزة نوبل للعلوم فى سنة ١٩٠٩ ؛ وانتخب منذ سنة ١٩٣٠ رئيساً للمجمع العلمي الايطالى ؛ وأنعم عليه بلقب المركيز ، وانتخب عضواً بمجلس الشيوخ

واليوم يغدو اختراع مركونى فى المواصلات اللاسلكية وتبادل التموجات الأثيرية أعظم ما عرف العصر ؛ ولم يحدث أى اختراع آخر مثل ما أحدث اختراع مركونى من ثورة فى نظم الحياة البشرية ، ولم يقرب مثل ما قرب بين أبعد أطراف العالم . وإذا كنا نستطيع اليوم فى لمح البصر أن نتصل بأوربا وأمريكا واستراليا ونحن جلوس فى منازلنا ، وأن نصغى إلى آخر الأنباء العالمية ، وأن نسمع الموسيقى والغناء على بعد آلاف الأميال ؛ وإذا كانت السفن فى عرض المحيط ، والطيارات فى جوف الفضاء ، تستطيع الاتصال والاستغاثة عند اللزوم ، فالفضل فى ذلك كله يرجع إلى عبقرية جوجليلمو مركونى

ولم ينبغ فى عصرنا من المخترعين نبوغ ماركونى في ميدانه سوى رجل واحد هو أديسون المخترع الأمريكى ؛ على أن مركونى يتفوق على أديسون من الناحية العلمية ، ويمتاز بسعة آفاقه التي لم يحد منها بحر ولا جبل ولا هواء . وقد عاش مركوني طول حياته فى جو من الهدوء والثقة ، يحمله النجاح الى التماس النجاح ؛ وكان مثل العلامة المتواضع يرتفع بالفكرة الانسانية إلى ذروتها .

حرب الميكروبات

إذا كان عصرنا عصر المعجزات العلمية ، فهو أيضاً عصر المهلكات . ولم يسبق فى التاريخ أن سخر العلم لاختراع المهلكات البشرية كما سخر فى عصرنا ؛ فالأمم العظيمة كلها تسخر قوى العلم لاختراع الأسلحة الجديدة وصقل الآلات المهلكة ، وتحسين الأسلحة الجوية والبحرية ، وتحويل الحرب إلى عملية ميكانيكية مخربة ؛ وأفظع ما فى هذا النشاط المخرب هو الحرب الكيماوية التى يوجه اليوم لها نشاط العلم والاختراع ؛ فالعلماء الذين يعتبر واجبهم المقدس أن يعملوا لخير الانسانية ورفاهتها وصون الحياة البشرية من الأدواء والأمراض ، يعملون اليوم لافناء المجتمع الانساني ، وسحق المدنية ، وقتل الانسان بواسطة الغاز الخانق ، والسوائل الملتهبة والجراثيم (الميكروبات) الفتاكة ؛ وتشتغل المعامل الكيماوية فى معظم الأمم الكبري اليوم باختراع هذه المهلكات والعمل على مضاعفة قواها المهلكة ؛ وقد كانت ألمانيا أول دولة لجأت إلى هذه الوسيلة المروعة ، واستعملتها فى الحرب الكبرى ، فاستعملت الغاز الخانق وأنواعاً أخرى من الغازات الخطرة ؛ وكانت هذه مفاجأة مروعة لجيوش الحلفاء . بيد أنها لم تبلغ يومئذ مدى كبيراً . فلما انتهت الحرب فطن الحلفاء الى هذا السلاح الجديد الخطر ، وأدركوا ما للحرب الكيماوية من أثر عظيم فى المستقبل ، وانكب علماؤهم ومعاملهم على بحث السوائل والغازات والميكروبات المهلكة ؛ وكانت ألمانيا التى وجدت فى المباحث الكيماوية السرية ملاذها وسلامتها بعد هزيمتها الساحقة فى الحرب – فى مقدمة الدول التى خصت الحرب الكيماوية باهتمامها ؛ ويقال إنها انتهت فيها إلى نتائج خطيرة .

والمعروف أن ألمانيا حاولت فى الحرب الكبرى أن تستعين على إهلاك اعدائها بالميكروبات وانها حاولت تطبيق هذه التجربة فى رومانيا . ومنذ سنة ١٩٣٣ ، أعنى منذ قيام النازى فى الحكم تعمل المعامل الألمانية ليل نهار لابتكار وسائل الدمار البشرى وتعنى عناية خاصة بمسألة الميكروبات . وقد وجه معهد كوخ إلى المعامل الألمانية منشوراً فيه بيان مفصل عن الميكروبات التى يمكن استعمالها فى الحروب المقبلة ، وعن أفضل الوسائل لاستعمالها .

ويقول الدكتور ليفين الألمانى الاخصائى الكبير فى هذا الموضوع : إن الميكروب هو أفضل مهلك للجيوش ، لأنه متى ارتفعت صيحة الذعر فى الجيش فقد قضى عليه .

وتعنى الدول الكبرى الآن بهذه المشكلة الخطرة ، وتجتهد في ابتكار وسائل الوقاية ، إلى جانب ماتعني به من اختراع المهلكات ، وهى جميعاً تفطن إلى الكوارث المروعة التى تتعرض لها الشعوب والانسانية من جراء هذا الخطر الشامل .

وفاة طبيب عالمى

نعت أنباء باريس الأخيرة الأستاذ الدكتور لا برسون العلامة الرمدى الشهير : توفى فى الخامسة والثمانين من عمره بعد حياة علمية وطبية حافلة ؛ وقد بدأ حياته أستاذاً للرمد فى كلية الطب بجامعة ليل ، ثم انتقل إلى باريس حيث عين أستاذاً للرمد في جامعتها ، وعين مديراً لقسم الرمد فى « أوتيل ديو » وانتظم عضواً فى أكاديمية الطب ، ثم انتخب رئيساً لها ، وطارت شهرته كحجة عالية فى أمراض العين ، ووضع كتباً ورسائل كانت مرجع الأطباء الرمديين فى جميع أنحاء العالم ، وكان لتعاليمه ومؤلفاته أثر كبير فى تطور طب العيون بفرنسا ، وقد تخرج على يده عدد كبير من أطباء العيون فى فرنسا وفى خارجها .

تصويب

قرأت فى عدد الرسالة الأخير فى مقالة الأستاذ المؤرخ الجليل محمد عبدالله عنان فى صفحة ١١٧١ فى الجانب الأيسر من الرسالة فى السطر الرابع أن الملكة هورتنس ابنة الامبراطورة جوزفين من زوجها الأول كانت زوجة القائد مورات . والذي قرأناه فى الكتب هو أنها كانت زوجة لويس أخى نابليون الذى نصبه ملكا على هولندة ، وولدت من نابليون الذى صار فيما بعد نابليون الثالث . أما زوجة القائد مورات الذى نصبه نابليون ملكا على نابل فى إيطاليا فهى كارولين أخت نابليون . ويلاحظ أن الضمير فى الفعل فى الجملة مفرد مما يدل على أنه لايتكلم عن اثنتين فالمرجو إيضاح وجه الصواب للفائدة

(ش)



المستشرقون

تأليف السيد نجيب العقيقي

للأستاذ الحوماني

يكاد يكون الاستشراق علماً بنفسه له أصوله وفروعه ، وله مقدماته ونتائجه ؛ ويكاد يكون رجاله ، على رغم شتاتهم ، شعباً خاصاً له أفقه الخاص به ، وحياته القاصرة عليه ، وقد مر بهذا الشعب وبرجاله فى العالم قرون لم يكتشفه ، كما هو ، عالم ولا أديب ولكن هنا لك بضعة من الكتاب نقلوا لنا وللغربيين نتفاً من أخبار هذا الشعب . . . فى معرض النقد أو التقريظ ، والناقل إما شرقى يشكر للمستشرق إنصافه أو ينعى عليه تعصبه ، وإما غربى يشكر له عصبيته أو ينعى عليه انصافه .

نقرأ فى بعض الكتب وفى كثير من الصحف أشياء عن هذا الشعب شعب المستشرقين ، ونقرأ أشياء لكثير من أفراد هذه الجماعة جماعة الاستشراق عما يكتشفون فى عالمهم من آثارنا نحن الشرقين .

اما أن نسمع بكاتب جمع شتات هذا الشعب فى مختلف الأزمنة والأمكنة ، ولم شعثه ، ثم كشف عن آثاره بين جلدتين تشتملان على كتاب وبلسان شرقي عربى يصور لنا حياتهم قديمة وحديثة ، ويبعث فينا آثارهم مكتسبة وموروثة ، ويكشف لنا آراءهم خاطئة وصائبة ، ويمحص لنا أقوالهم جائرة ومنصفة ، ويمعن فى البحث عن أغراضهم وأهوائهم ، ويعلل أفعالهم وأقوالهم ، ويحلل آراءهم وأفكارهم ، بعيداً عنهم وهو فى الصميم من جماعتهم ، منصفاً فى الحكم عليهم والقضاء لهم ، أما هذا الكاتب فلم نسمع أو لم أسمع أنا به على الأصح فيمن غبر أو حضر من كتابنا ماخلا هذا الشاب المثقف (النجيب) صاحب كتاب « المستشرقون » المؤلف الحديث الذى أخرجته لنا فى الأيام الأخيرة مطبعة الاتحاد البيروتية فى مائتين وخمسين وجهاً من القطع الوسط يحمل اسم مؤلفه « نجيب العقيق »

لا أحب أن أعرض لعروبة الكتاب والناحية البيانية فيه فان مؤلفه واحد من هؤلاء الشباب الذين عمروا قلوبهم بالثقافة الأجنبية فى معاهد إنما شيدت لقتل العروبة فى بلادنا لغة وخلقاً ومعتقداً ، وإذا قرأت فى الكتاب جملا فصيحة فانما هى نتاج الغريزة العربية فى المؤلف ، وثمرة حبه للأدب العربى وغرامه بالديباجة العربيــة الذي حمله على ألا يدع مؤلفاً عربياً ، قديماً أو حديثاً ، سمع به واستطاع الوقوف عليه ، إلا اتصل به وأخذ منه ، فهو كاتب عربي فى مؤلفه هـذا بما قرأ لا بما درس . من أجل ذلك كانت ديباجته فيه عادية لا روعة فيهـا ولا سحر ، وربما وقفت عند كثير من جمله تتبين ماتشتمل عليه من معان أبهمها الاعجام .

فالكتاب فى لغته بسيط ، وهذا لايحط من قيمته العلمية ، فانما يؤخذ مؤلفه بما أودعه من فكرة لا بما نمق فيه من ديباجة .

ما أحببت أن أعرض فى نقدى هذا لشئ من ذلك ولكنى أحب أن أعرض لمواطن الجمال فى الكتاب معللا بيضع خلال خبرتها فى نفس الكاتب .

عرفت نجيباً منذ أنشأت عروبتى ولم أزل أعرفه حتى اليوم ؛ ولأول نظرة ألقيتها عليه شربت روحه ولم أزل أشربها حتى الآن

قرأت فى شمائله الحرية فى غير أنانية ولا أثرة ، والصراحة فى غير مراء ولا صلف ، ولمست فيه الروح الوثابة والعمل الجبار ؛ قرأت فى شمائله كل ذلك ولم أزل أقرأه فيها حتى ساعتى هذه

توسمت فيه إذ ذاك النجابة ولم يكن قد أنتج بعد ، فكتابه هذا هو باكورة عمله ، وإذا كان وليد أدبه الغض وشبابه الناضر

فماذا نرقبه من أدبه الكهل؟ ثم ماذا سيطلع علينا به وقد أشرف على الأربعين سن الحكمة والنضج؟

الحرية فى نجيب حملته على ألا يتقيد فى كتابه بدين درج عليه فى البيت وتلقنه فى المدرسة حتى كان جزءاً من دمه الفائر ونفسه الجبارة، ولم يحل دون تحرير فكره فى مؤلفه هذا هيبة المستشرقين فى نفوس الضعفاء من كتابنا حتى تحامى أكثر هؤلاء إبرام ما نقض أولئك من حق أو نقض ما أبرموه من باطل.

عرفت العقيقي حراً فى زياراته لى وتحدثه إلى؛ عرفته حراً فى شمائله، حراً فى جدله، حراً فى رأيه. وها أنذا أقرأه اليوم فى مؤلفه الجديد حراً فى درسه وتفكيره، حراً فى بحثه وتحليله، حراً فى نقضه وإبرامه.

والصراحة فى نجيب حملته على أن يكتب فى الأدب للأدب، ويبحث فى العلم للعلم، ويجهر بالحق للحق.

فاذا نقم على المستشرق لتعصبه الذى يدفعه إلى الطعن على الاسلام (مثلا) فانما ينقم عليه للحق الذى يراه دون رياء أو تزلف يتملق بهما المسلم حباً للمال أو سعياً وراء الشهرة التى يحسبها النفر الخامل من متأدبينا فى الضجة الفارغة واللقب الكاذب.

العقيقي صريح فى كتابه إلى أبعد حد فى الصراحة لم يراع معه نبى الرجميين من قومه عليه فيما يحمل على عصبية المستشرقين لدينهم أو عنصرهم، ولا حذر انتقام الجهلاء من غير قومه فيما يصوب من حملات الغرب على الشرق.

والروح الوثابة فى نجيب حملته على ألا يترك أديباً إلا جلس إليه ولا كتاباً إلا وقف عليه، حدت به هذه الروح إلى أن يبحث ما اتصل به من علم، وأن يدرس ما استطاع درسه من فن، حتى بدا له أن يبدع فيما ينتج فولدت هذه الروح فيه فكرة الكشف عن هذا الشعب شعب الاستشراق المبعثر هنا وهناك.

ويهجر العقيقي أصدقاءه بضعة أشهر فلا يزورهم خلالها إلا لماماً، ويمعن فى البحث والتنقيب، والكتابة والترجمة، ثم يطلع عليهم بعد عام وقد سهم وجهه وتغضن جبينه، فاذا به يتأبط كراريس تشتمل على قلب نابض بالحياة، وإذا بضربات هذا القلب تقرع الأسماع، وإذا بهذا القرع يملأ الأفق دوياً.

يتناول نجيب فى كتابه رأى المستشرق فى لغة العرب أو أدبه أو خلقه أو معتقده فيمر به فى طريقه إلى الحكم على وطن المستشرق وعلى مدرسته وعلى كنيسته ثم على حكومته، فاذا توفر لديه البحث عن وطنه كيف غادره، وعن مدرسته كيف تخرج منها، وعن كنيسته كيف اعتنق دينه فيها، وعن حكومته وكيف كانت منزلته منها، استطاع إذ ذاك أن يمحض هذا الرأى فيرجعه إلى المستشرق نفسه مجرداً عن الاهواء أو إلى أحد هذه العوامل متأثراً به إذ قلما استشرق غربى دون أن يتأثر بواحد منها

وهو يثبت فى كتابه أن الاستشراق غالباً مدفوع بسياسة الغرب ودينه لغزو الشرق واستعماره وقتل القومية فيه حتى تتوفر الغلبة للغرب عليه.

هذا ما أحببت أن أشير إليه من موضوعات الكتاب ويكاد يكون أروع موضوعاته، فالشرق جد محتاج إلى مثل هذا المؤلف وما أحوجنا إلى كتاب آخر من هذا النوع يخلقه قلم العقيقي ويطلق عليه اسم (الغزاة) يعنى فيه بالارساليات التبشيرية عنايته بالاستشراق

وبعد فليس لى فى ختام كلمتى هذه إلا أن أعلن إعجابى بهذا الأثر، وأدعو كل عربى أديب إلى الوقوف عليه والامعان فى درسه.

فهل يرينا المستقبل من أبنائنا من يضرب على هذا الوتر فيحرر نفسه من العبودية بين يدى كل غربى مستشرق؟؟؟

« بيروت » **الحومانى**
صاحب العروبة

فى قصيدة الدكتور عزام

كان فى قصيدة « دمشق » للدكتور عبد الوهاب عزام التى نشرت فى العدد الماضى — كلمات يتعذر فهمها بغير الشكل، وقد أهمل شكل بعضها — فنعيد هنا نشر الأبيات التى وقع فيها ذلك:

حطَّ الرحال فهذا جهرةً بَرَدى وذى دمشق. هَناك الأهل والدار

نسرٌ يرى اللُّوح منه هامة عطلا لكنه ذنبَ الطاووس جرار

وقد وقع تحريف فى الأبيات الآتية وصحتها كما يلى:

خافى المطامع طماح المنى عرم على الشدائد والسراء ثوار

شجا فؤادى عفاء فى مدارسها(١) والدهر بالناس دولات وأدوار

إنى أرى المجد قد أضنى أشعته وأشرقت فيه دولات وأمصار

(١) فى الصالحية مدارس إسلامية قديمة خربة

(طبعت بمطبعة الرسالة والرواية بشارع المهدى عمارة عجم رقم ٧)